آرمنيوس فامبري وكتابة تاريخ بخارى منذ اقدم الأزمنة الى الوقت الحاضر – دراسة تحليلية (١٨٣٢-١٩١٣م)

أ.د. عباس عبد الستار عبد القادر الزهاوي
كلية الآداب/قسم التاريخ
جامعة بغداد

آرمنيوس فامبري وكتابة تاريخ بخارى منذ اقدم الأزمنة الى الوقت الحاضر
دراسة تحليلية (١٨٣٢–١٩١٣م)

أ. د عباس عبد الستار عبد القادر الزهاوي

المقدمة

نتناول في هذه الدراسة سيرة حياة المجري الرحالة والمؤرخ آرمنيوس فامبري صاحب المؤلفات العديدة ,الذي اوقف حياته في معرفة الحياة الاجتماعية للترك سواء في تاريخهم المعاصر او الاسلامي بعد ان اجاد اللغة التركية اجادة تامة حتى اللهجات التي اختلفت عن اللهجة التركية العثمانية في اواسط آسيا من خلال تخفيه بزي مسلم متصوف مسجلا اوائل المدونات الاوربية عن شعوب تركستان وخاصة بلاد ما وراء النهر فكانت مقالاته تتسابق عليها دور النشر في بودابست ولندن من اجل نشرها كما قام بتأليف العديد من الكتب ذات العلاقة بالترك في اسيا الوسطى من خلال رحلاته اليها ,وكذلك عن موطنه المجر(هنغاريا)كما الف عدة مؤلفات تسرد سيرة حياته وكفاحه المتواصل من اجل تحقيق اهدافه ومواصلة رحلاته الى بلدان اسيا الوسطى ,ليتفوق على نفسه لتحتل مصنفاته مكانة علمية متميزة تضاهي وتتفوق على العديد من دراسات مستشرقين تناولوا ذات المنطقة رغم تواضع المدرسة الاستشراقية المجرية مقارنة بنظيراتها الاوربية.

قسمنا الدراسة الى اثنى عشر محور منها ما هو ذا صلة بحياته العلمية وتعليمة وبداية رحلاته الى الى اسيا الوسطى ,وسنبحث منهجه الذي اتبعه في مؤلفاته ,كما سنخصص بقية المحاور الى كتابة (تاريخ بخارى منذ اقدم العصور الى وقتنا الحاضر)والذي يعد اول كتاب حديث يتناول تاريخ المدينة منذ الفتح الاسلامي الى العهود التي عاصرها المؤلف.

ونحن سنركز على المباحث التي تناولها عن تاريخها الاسلامي وحسب اي منذ الفتوحات الاسلامية لبلاد ما وراء النهر الى مدة السيطرة المغولية على مدينة بخارى ومدن بلاد ما وراء النهر الاخرى.

اولا. السيرة الذاتية والعلمية لفامبري:

يعد سكان المجر من الشعوب الشرقية الايغورية التي زحفت غربا حتى وصلوا الى مناطق شرق أوربا حيث وجدوا في المجر(هنغاريا) وطنا لهم ,كما يعزز من تراثهم الشرقي وقوعهم تحت الاحتلال العثماني قرابة قرن ونصف ,وحافظ المجريون على تراثهم, ومازالت لهم في بعض الاديار مخطوطات شرقية نادرة ,اما المدارس الاستشراقية التي نهلوا منها مناهجهم في دراسة الشرق فكان المدرسة الهولندية والألمانية والنمساوية فقصدت منهم لدراسة اللغات الشرقية ولاسيما العبرية والتركية والعربية , فأتقنوها وذهب لهم فيها على قلتهم صيت بعيد(1).

ونلحظ في كتابات فامبري تأكيده على حياة البؤس التي عاشها في طفولته في اكثر من مؤلف من مؤلفاته واضطراره لحمل عكاز بيده اليسرى لحين بلوغه سن الرشد ,وبين ان اطعمتهم والبستهم الشحيحة لم تكن لتسد حاجتهم اليها, واشار الى انتباه اساتذته الى ذاكرته القوية الغير عادية بقوله "التي مكنتني من التعلم على ظهر قلب وبسهولة كبيرة اي شيء تقريبا حتى المقاطع اللاتينية التي لم افهمها على الاطلاق"(٢).

ان اغلب معرفتنا بحياة فامبري وانشطته مستمدة من من كتاباته الخاصة ,وخاصة كتاب (قصة كفاحي) وقد نشر هذا العمل الضخم المؤلف من جزئين في اواخر حياة المؤلف ,وهو مصدر مهم لا نشطته وأبحاثه وكذلك لآرائه ووجهات نظره .

ولد فامبري عام ١٨٣٢م في قرية صغيرة على الحدود السلوفاكية المجرية ,لعائلة يهودية فقيرة, وكانت ساقة عرجاء, لغته الام هي المجرية ولكن الكثير من الثقافة العامة كانت المانية تلقى تعليمة المبكر بالكامل في مدرسة دينية يهودية ,والتي سرعان ما تركها لتعلم اللاتينية في مدرسة مسيحية ,ثم تعلم بشكل مستقل العديد من اللغات الاخرى ,انتقل الى اسطنبول في عام ١٨٥٧م,حيث حسن معرفته بالتركية واصبح يتقنها ,وبعد عودته الى بودابست عين محاضرا للغات التركية والعربية والفارسية في جامعة بيست ,وفي عام ١٨٦٧م تمت ترقيته الى الاستاذية وكان قد اعتنق المسيحية لأجل هذا الغرض اذ لم يكن من الممكن تعيين يهودي استاذا في الجامعة المجرية ومع ذلك لم يتأقلم مع المجتمع المجري

الكاثوليكي كما بين ذلك في كتابة (قصة كفاحي),وفي النهاية اتجه الى الصحافة السياسية وكتب على نطاق واسع عن السياسية والاجتماعية والاقتصادية في اسيا الوسطى والامبراطورية العثمانية وبلاد فارس في الصحف والدوريات البريطانية والالمانية والفرنسية والمجرية والتركية والامريكية (٣).

توفي والده عام ١٨٣٢م ولم يكن يبلغ الا بضعة اشهر ورغم عمل والدته وتزوجها برجل اخر انه ذلك لم يحل من الازمة الاقتصادية التي عاشتها عائلتهم التي ازداد عدد افرادها بهذا الزواج الا انه في المدرسة وبفضل مساعدة بعض العوائل الميسورة تمكن من الحصول على بعض الوجبات المجانية والملابس القديمة (٤).

"وانتقلت الى برسبورج حيث توجد مدارس من مستوى اعلى لذلك غادرت مدرسة سان جورج على الرغم من اني كنت اعيش هناك تقريبا ,وبقي هناك ثلاث سنوات واعمال في مجال تعليم الطهاة القراءة وخدمات الغرف ,ورغم ذلك كان تقيمي متقدما جدا من بين اقراني واتقنت اللغة اللاتينية ...وكنت اخصص ثمانية عشر ساعة للتدريس من اجل لقمة العيش والتعلم الا انني كنت استرق من الوقت المتبقي ما يحسن من مستواي الدراسي ففي عام ١٨٤٧م في احدى مدارس المجر كنت اتعلم الفرنسية واحفظ في اليوم الواحد احيانا مئة كلمة ...ومن ثم انتقلت تدريجيا الى دراسة بقية فروع العائلة اللاتينية الجرمانية والفرنسية ووسعت دراستي الى السلافية"(٥) .

وعلى حد قوله" كانت كل تأملاتي وجهودي وافكاري ومشاعري تتجه نحو ارض الشرق التي كانت تغريني بهالة من الروعة "(٦).

اشار فامبري لإتقانه اللغة الايطالية والتركية ولغات اخرى بشكل نظري, وبين ان الاتراك يتلفظون بألفاظ عربية من ادراك لمعناها, وكان الاعتقاد السائد آنذاك ان الشعب المجري بأكمله سوف يعتنق دين محمد علما انه لم يكن سوى بضعة مئات ممن دخلوا الاسلام من المجر مما سهل من مهمتي في اراضي الدولة العثمانية الذين كانت نار التبشير لدينهم تشتعل في قلبه عند معرفته باني مجري كما ان اتقاني للغة التركية والتحدث بها بطلاقة وقراءة لغة البلد من دون اعيش في تركيا مثيرا للدهشة بالنسبة لهم واعطائي دروسا للغات

المستخدمة في بلدهم امرا طبيعيا للغاية. وربما كنت الاوربي الوحيد في سنة ١٨٦٠م الذي بإمكانه الوصول الى جميع طبقات الشعب التركي (٧).

لذلك هفت نفسه الى الاسفار, وجعل مجالها اسيا ,فكان علية اتقان اللغات الآسيوية هذه المرة وكانت التركية في مقدمتها لتشابهها مع المجرية ,ولم يبلغ العشرين من العمر حتى اتقنها, سافر الى اسطنبول واستقر بها ست سنوات وصنف هناك قاموس الماني تركي طبعة سنة ١٨٥٨م من ١٤٠٠٠ كلمة, ومن اسطنبول قرر التوجه الى اسيا وكانت اولى محطاته ارض روم, ومنها توجه الى ارض الامبراطورية الفارسية وزار معظم مدنها التاريخية ومن شيراز توجه الى اسيا الوسطى فرحل الى خيوه ,ومنها الى بخارى وسمرقند ,وهراة ,وعاد الى مشهد ومن ثم طهران ,وبعد اقامة قصيرة عاد الى استانبول وفي رحلته هذه لبس ابس الدراويش مدعيا الاسلام ليتسنى له مرونة الدخول الى كل المراكز الدينة والتاريخية سواء في ايران ووسط اسيا, وعند عودته الى المجر نصح بالذهاب الى انجلترا بعد ما عرضه من معلومات عن اسيا الوسطى في الأكاديمية المجرية ,وهناك طبع كتابه في غضون ثلاثة اشهر عنونه (رحلات في اسيا الوسطى),وتنقل بعد ذلك بين فرنسا والمانيا ,وعند عودته الى وطنه المجر انصرف الى العمل العلمي والانتاج الفكري ,فبدأ بأن أصدر كتابا بعنوان (دراسات لغوية عن لغة جغتاي)وفيه نشر بعضا من المخطوطات التي كان قد اشتراها من اسواق خيوه ,وبخارى ,ومشهد, واضاف اليها معجما تركيا شرقيا ومرادفاته بالفرنسية والالمانية , ,ولما عاد الى المجر عين استاذا للتركية والفارسية في جامعة بودابست ١٧٨٠م,وانتخب عضوا في مجمع العلوم المجري ١٨٧٦مووعضوا في مجلس ادارته ١٨٩٤م (٨).

ثانيا. مؤلفات فامبري:

نجد اعتداد فامبري بنفسه وسيرته العلمية فاصدر مجلدان كبيران بعنوان(ارمنيوس فامبري :حياته ومغامراته)١٩٠٤م كتبة بنفسه وفيها سرد لرحلاته في آسيا و أوربا وكان انجح عمل له فقد جلبت رواياته جمهورا واسعا ,اذ احتوت على تقارير عن منطقة لم تكن معروفة حتى ذلك الوقت لأوربا ,وصدرت له عد طبعات كما حدث لمؤلفه الآخر عن نفسه

ورحلاته(قصة كفاحي)الذي صدر عام ١٨٩٠م,وتاتي اهميته بالأساس لما حواه من تقارير عن اوصاف القبائل والسكان والمدن ,والحروب الاخيرة ,والتوترات بين السنه والشيعة والعادات المحلية ,وتأثير العلماء ,والتكايا والاسواق ,والآثار ,والمقابر والعمارة والتجارة والصناعة ,والحكم وسوء الادارة ,والاحتفالات ,والمساجد والمدارس ,والشرطة والحكم المحلي والجيش والزراعة والدراويش ,والطعام واللباس ,القوافل, التناقضات الاجتماعية, كما وان الظروف الغير مستقرة التي تعرض لها في هذه المناطق ,والتي تسكنها قبائل عنيفة ,غالبا ما تكون مليئة بالتشويق, وخاصة تنكره بهيئة درويش (٩).

يمكن تقسيم اعمال فامبري الى مجموعتين ,الاولى المجموعة اللغوية ,الاخرى التاريخية والاجتماعية ,الاولى جافة كالغبار في الغالب ,بصيغة قواميس لعدة لغات فكان مزيجا من اللغوي والمؤرخ ,اعتبر نفسة في المقام الاول متخصصا باللغات التركية ومنها الايغورية والتتارية (١٠) .

من بينها قاموس نشره سنة ١٨٥٨م الماني تركي ,كان بمثابة اول قاموس يكتب وهو حتى يومنا القاموس الوحيد الذي يمكن الالماني من السفر الى تركيا(١١).

ونشر كتاب له بعنوان (ملاحظات على النقوش التركية القديمة وسيبريا) احتوى هذا الكتاب على تعليقات على ما اسماه فامبري اللغة التركية القديمة, والتي تعني عنده المعالم الاثرية في منغوليا وينيسي وتمكن من فك رموزها ,مع ملاحظاته عليها, كانت ادواته البحثية اللغوية في الغالب مخطوطات جمعها وكتابات نسخها اثناء اسفاره, وكذلك له كلام مستفيض فيما اسماه الاعراق الطورانية والايرانية في كتابه(اثنولوجيا آسيا الوسطى),وله كتاب(الشعب التركي في صلاته الاثنولوجية والاثنوغرافية)وهو كتاب شامل لتاريخ الشعوب التركية في سيبريا واسيا الوسطى, ونهر الفولجا, وشبه جزيرة القرم وايران واذربيجان والامبراطورية العثمانية (١٢).

وذكر في مقدمة كتابه هذا بأن الشعب التركي من بين جميع شعوب العالم يتباهى بأكبر توزيع جغرافي اليوم نتيجة روحة الحربية التي امتاز بها وسرعة تنقلاته(١٣).

ومن مؤلفاته ذات التخصص العرقي واللغوي (الثقافة المبكرة لشعب الترك والتتار)صدر سنة ١٨٧٩م وهو عن كتاب استخدم فيه فقه اللغة(الفيلولوجيا)في محاولة لتسليط الضوء على العتمة التي تكتنف الاجناس والشعوب التي سكنت في تركستان وكانت من اراءه في هذا الكتاب قوله :على الرغم من الاختلاف في الخصائص الجسدية لها ,فاسيا الوسطى فيها خليط ملون من الآريين ,والساميين ,والاورال ,والتاي مما يصعب عمل عالم الاعراق في التمييز بينها.. الا انه الذي لا يقبل الشك ان العامل الاقوى في تغيير اللغات هو التأثير الثقافي الاجنبي حيث انه يقدم نتاجات العقل البشري الاجنبية التي خضعت له بالثوب الذي ظهرت فيه منذ البداية ,لذلك يكون التأثير فقط على المفردات ونادرا ما يكون على اشكال اللغة القادرة على بناء جملة (١٤).

ومن ناحية اخرى ذكر بأنه وكما للشمس والتربة اثر في تغير شكل النبات فان لها ذات التأثير على الانسان خاصة ان مرت على المجموعة البشرية المتنقلة والتي غيرت مناطق سكناهم, كما ان الاختلاط بالدم للأتراك بالجنس الآري ادى الى تغير تدريجي من الجيل الثاني الى الجيل الرابع كالتغيير الذي يطرأ على النباتات والحيوانات بتأثير الشمس عليها والتربة, واشار ايضا ان اختلاط الدم سواء عن طريق الزواج او المصاهرة او الغزو ساهم بشكل كبير في تغيير الوحدة العرقية لهم(١٥)و(آثار لغوية ايغورية)(١٦).

اما ابرز مؤلفاته ذات الطابع الاجتماعي التاريخي فهو (رحلتي وانطباعاتي في بلاد فارس)١٨٦٤ بودابست, ورحلة الى اسيا الوسطى التي ترجمت الى ثلاثة عشر لغة ١٨٦٥م,و(الشعوب الشرقية) ١٨٧٦م,و(اصل المجريين) ١٨٨٢م,و(الثقافة الغربية في الشرق),١٩٠٦ م, و(الاتراك والعرب)في الجغرافيا ١٩١١م,والاسلام في اسيا ١٩١٣م,(الثقافة الاولية للشعب التركي التتري)والاهم هو كتاب (تاريخ بخارا وبلاد ما وراء النهر) (١٧)

وفي احد فصول كتابه(صور من اسيا الوسطى) ١٨٦٨م (الدراويش والحجاج) اظهر مدى تعايش الدراويش في حياتهم الصوفية ومدى سعادتهم ,على العكس من الحضارة الغربية الاوربية وهو الزي الذي تنكر به فامبري خلال رحلته الى اسيا الوسطى واصفا

حركاتهم عند رحلته الى سمرقند وترديدهم المستمر لاسم الله(الذكر)حتى يصاب احدهم بهذيان ارتعاشي اثناء النشوة ليتسابق الاخرين للمسه اعتقادا انه له قابلية اشفاء الاخرين, وبين فامبري ان دراويش كشمير يتفوقون على اخوانهم المسلمين في الشرق كله (١٨).

اوعزى فامبري تباين الانتاج الزراعي في حوض نهر جيحون الى تباين المناخ على طول النهر ما بين معتدل الى شديد البرودة عند شواطئ بحر آرال (بحيرة خوارزم)في الاجزاء الجبلية من خوقند, بينما يكون الشتاء اكثر دفئا في المناطق التي تقع الى الجنوب وهناك مناطق لا تطاق حرارتها صيفا مثل خيوه ,ومناطق رطبة, اما منغوليا الديانة المنتشرة كانت الشامانية ,والمشروب الاكثر رواجا هو الكميز Kimis (وكان المشروب المفضل في بلاط اتيلا (١٩) .

وله كتاب (فصول اضافية عن رحلاتي ومغامراتي وعلم الاعراق في اسيا الوسطى)يتناول فيه مواضيع الدراويش والحجاج وما عايشه في رحلته كمدعي لإسلام مرتديا قناعا مؤلما على وجهه استمر عدة اشهر, ضمن قافلة ,زار فيها عدة مدن في مقدمتها بخارى, وقدم في دراسته مخططا لشجرة النسب العرقية لكل من الفرس والترك ,ويمتد في مؤلفه هذا الى التنافس الاستعماري بين انجلترا وروسيا على اسيا الوسطى, ولم يخفي فامبري اعجابه بحياة الدروشة التي يسلم فيها المرء نفسة لأقدار الله من دون مقاومة وتفكير ليصل الى صفاء ذهني وروحي ولولا تطور الحضارة الغربية الواضح على الحضارة الشرقية لكان قد اغري فامبري نفسه بحياة الدروشة التي تمنحه الحرية ورقصهم الدوراني حتى تسيل الدماء من اقدامهم ويسقطون مغشيا عليهم ,واشار ان اكثر اتباعها من الاتراك>ومن الجدير بالذكر ان اسلوبه في كتابة هذا عبارة عن سرد اشبه بالمذكرات ولمشاهد التي راءها في ايران واسيا الوسطى (١٨).

وله كتاب عن مسقط راسة المجر سما (قصة المجر)يتناول فيها تاريخها منذ اقدم الازمان(١٩).

ومن مؤلفاته التي حملت عنوان (رحلات الى اسيا الوسطى)لتسترعي انتباه القاريء ورغبته الملحة لاسيما في أوربا لمعرفة اسرار تلك المنطقة التي كانت المؤلفات عنها شحيحة

آنذاك ,فدون مذكراته عن الايام والاشهر التي قضاها هناك موثقا الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية لشعوب تلك المنطقة الشاسعة(٢٠).

وله كتاب(الاسلام في القرن التاسع عشر: دراسة تقييمية لدوره في الماضي والحاضر والمستقبل)وهو اهم كتاب له في هذا المجال ,وتناول هذا الكتاب الحضارة الاسلامية وتأثيرها على الحياة الاسرية والتعليم والصناعة والتجارة والعلاقات مع المسيحية وتناولت عدة فصول من التعليم والادب وكذلك الصناعة والتجارة ,ومع ذلك فان الفصول الاكثر اصالة ناقشت الابتكارات والاصلاحات الحديثة في الاسلام ,وكان احد عناوينه انحدار الاسلام ام نهضته ,وكانت اجابة فامبري ان تجدد الاسلام امر ممكن تماما بل ومرجح ولكن في ظل ظروف معينة فقط, ويعتمد الى حد كبير على تأثير التدخل الاجتماعي والسياسي والحضاري الاوربي الذي زعم انه فشل حتى الآن(٢١).

بلغت شهرة فامبري مبلغا كبيرا بحيث طلب منه كتابة مقدمات على كتب لمؤلفين من الشرق الاسلامي ,كما ان لغته التركية وعلاقاته مكنته من مقابلة العديد من الشخصيات التركية السياسية المعروفة حتى انه استقبل بحفاوة بالغة عند تولي السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٨٧٦م,حتى انه كان يقوم بزيارات سنوية الى اسطنبول بعد ان ربطت سكت القطارات بين البلدين عام ١٨٨٨,حتى ان السلطان عبد الحميد طلب منه مرارا وتكرارا الدفاع عن السياسات العثمانية في الصحافة الاجنبية(٢٢).

وكانت له آراء خاصة بان بإمكان الدولة العثمانية اللحاق بركب الدول الصناعية في أوربا كما اعطى وصفا للسلطان عبد الحميد الثاني(١٨٧٦–١٩٠٩م) وذلك عندما اشتهر فامبري في أوربا باعتباره مستشرقا ورحاله استدعاه السلطان عبد الحميد وقربه منه ,وكان احد اوربيين القلائل الذين سمح لهم بمقابلة السلطان العثماني بقوله "كان متواضعا ورزينا الى درجة حيرتني شخصيا, متمسك بدينه غاية التمسك ويرعى العلماء ورجال الدين ,انني استطيع القول بكل ثقة ان العثمانيين اذا استمروا بالسير في الطريق الذي رسمه هذا السلطان فانهم سيسترجعون مجدهم السابق ,وقوتهم السابقة ,وسيصلون الى مستوى الدول الاوربية في مجال الثقافة والاقتصاد في مدة قصيرة" (٢٣).

ثالثا .منهجه في الكتابة التاريخية:

تأثر فامبري بنظريات عصره الرائجة آنذاك خاصة النظرية العرقية والفيلولوجية معرفة مميزات الاعراق التي عاشت في المنطقة (٢٤).

وفي ذلك يستعرض العديد من المفردات المستخدمة لدى الشعب المجري والقرغيزي مثلا فيجد ان القرغيز لم تطرأ على مفرداتهم الكثير من التغيير مقارنة مع الشعب المجري الذي حدث فيه تغيير كبير في المفردات ودخول العديد من المفردات التركية في لغاتها(٢٥).

من سمات كتابات فامبري تقديمه وصفا للقبائل التركية التي كانت تعيش في منطقة آسيا الوسطى نتيجة تعايشه معهم ولمدد طويلة ففي معرض كلامه مثلا عن القرغيز يذكر "هم الاكثر عددا بين البدو والمستوطنين الآخرين في اسيا الوسطى يرتدي الرجال القبعات المصنوعة من اللباد والكالباج فصل الصيف والمبطنة بالفراء فصل الشتاء ,والتي تتدلى قطعها من الخلف لحماية الرقبة, ويرتدون سترة واقية للبرودة لكني استخدمها في الخارج فقط, وترتدي النساء غير المتزوجات سيوكيتي الذي يختلف عن بقية القبعات التركمانية اذ تكون اكثر مخروطية...وهناك خصال شعر تدلى على صدورهن...اما القرغيز الساكنين في الغرب فيفضلون الشكل الروسي في نوع الأحذية اما الشرقيون فيفضلون الحذاء ذو الكعب العالي الضيق ذو انحناء حاد ,دينهم الدين الاسلامي في جميع انحاء العالم تقريبا دخلوا الاسلام منذ عهد الدولة السامانية, ونستنتج من سلوكهم الاجتماعي انهم في حالة استرخاء للغاية "(٢٦).

ورغم ان هذه المشاهد التي رءاها فامبري عن القرغيز وقبائل اسيا الوسطى التركية فهي بالحقيقة تحاكي ان لم تكن مطابقة لحياة القبائل التركية في آسيا الوسطى إبان الحكم الاسلامي للمنطقة في العصور الوسطى فطيلة الحقب الماضية وحتى عهد فامبري لم يطرأ تطور ملموس على حياتهم الاجتماعية لابتعادهم كليا تقريبا عن تغيرات الثورة الصناعية التي شملت اتراك الدولة العثمانية او روسيا.

كما انه عند حديثة عن مدينة بخارى يؤكد على مركزها التجاري المحوري بحيث تأتيها البضائع من جميع الاصقاع خاصة الاقمشة والحرير والملابس المصنوعة في اسيا الوسطى

والهند, ويمر بها الحجاج المتوجهين الى مكة كما قدم وصفا عمرانيا للمدينة ومساجدها على عهد اسماعيل الساماني والمدن والقرى المحيطة ببخارى(٢٧).

والغالب على كتاباته عن اسيا الوسطى واحوالها صفة المذكرات اليومية التي وصل في كتابة ان يؤرخ اليوم بتاريخ شهر ويوم يسرد مشاهداته كما في كتاب (صور من اسيا الوسطى)الذي اصدره سنة ١٨٦٨م (٢٨).

وغالبا ما تنشر هذه المذكرات اليومية التي جمعت احداثها في صفحات عديده متوالية الى كتب تستهوي القاريء الاوربي لندرة المادة عن المنطقة او مقالات في صحف علمية رصينة تصدر في لندن او بودابست .

ومن سلبيات منهجه في الكتابة التاريخية كما هو الحال في كتابة(تاريخ بخارى منذ اقدم الازمنة الى وقتنا الحاضر)هو عدم ذكر هوامش لمصادرة وانما هو يقرأ مادة المصادر ويفهمها ثم يسوق نصا من عنده متوافقا مع مادة المصادر التي اعتمدها من دون الخوض في مقارنات بين الروايات وتواريخ الاحداث كمؤرخين اخرين تناولوا المنطقة ذاتها بلاد ما وراء النهر كبارتولد ,ففي كتابة الوحيد الذي يحمل صفة كتاب تاريخ وليس رحلات تحوي ضمنا مادة تاريخية وهو(تاريخ بخارى منذ اقدم الأزمنة الى وقتنا الحاضر)نجد اشارته لهوامش المادة التاريخية لمتن كتبه لا تتجاوز ١٠% وفي حالات تستوجب من وجهة نظره .

كما انه يأخذ مادته من مصدر واحد قد تكون صفحة كاملة كان تكون من الطبري او النرشخي ساردا الاحداث كاملة ليعقب في نهاية الرواية بما يتفق مع فحوى الرواية من دون تفنيد او اجراء مقارنة مع رواية اخرى لتمييز الحقيقة او حتى التشكيك فيها فيما كانت رواية مفرده رويت في كتاب مؤرخ واحد.

ومن الجدير بالذكر ان ابرز المستشرقين الذين نهجوا نهج فامبري في دراسة تاريخ الترك عامة وبلاد ما وراء النهر خاصة هو المستشرق الروسي ذو الاصول الالمانية فاسيلي فلادميروفتش بارتولد الذي كمل على دراسات سلفه فامبري في دراسة المنطقة بما يقارب الاربعين عاما مبتدأ مؤلفاته بكتابة والتي كانت في الاصل اطروحته للدكتوراه سنة ١٨٠٠م واستهدفت دراسته (تركستان حتى الغزو المغولي)منطقة اسيا الوسطى ولاسيما بلاد ما وراء

النهر واعقبها دراسات اهتمت بالحقبة التي تلت حكم تيمور لنك والشيء الذي ميزت رحلات الاخير عن فامبري هو الدعم الحكومي له سواء عهد روسيا القيصرية او بدايات الحكم الشيوعي السوفيتي كون المطقة تقع تحت السيطرة الاستعمارية للروس ومن بعدهم السوفيت.(٢٩).

رابعا. سبب واسلوب تأليف كتاب تاريخ بخارى منذ اقد م العصور حتى وقتنا الحاضر:

في سنة ١٨٧٠م الف فامبري (تاريخ بخارى من اقدم العصور الى وقتنا الحاضر) الذي سندرسه,استند فيه على مخطوطات غير معروفة وركز على علاقات بخارى بالمناطق المجاورة ,كما تناول بالتفصيل الدور التاريخي للعرب والسامانيين والاتراك والسلاجقة والمغول والتيموريين ,والاوزبك والشيبانيون وغيرهم في بخارى, واضاف فامبري الى هذا التقرير قدرا كبيرا من المعلومات حول الجغرافيا ,والاديان ,واظهر معرفة ملحوظة بتاريخ آسيا الوسطى ودخا في العديد من التفاصيل ,وزعم انه اول تاريخ للمدينة, حيث قدم مقدمة للكتاب قائلا "الآن اقدم ثمار سنوات عديدة من العمل الشاق الى الجمهور اخير"(٣٠).

والكتاب يتناول تاريخ بخارى قبل الاسلام وحتى عام ١٨٧٠م,يجد فيه القاريء العصر الساماني بمدينته العظيمة بخارى ثم العهود :السلجوقية ,والايغورية, والخوارزمية ,ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن الغزو المغولي الجنكيزخاني ثم التيموري ,وينتقل الى الاوزبك ,والشيبانيين والاسترخانيين, والمنغتيين وبعد ذلك يذكر خانية خيوه وخوقند وكاشغر وينهي حديثه بما كان خضوع هذه المنطقة لأسرة رومانوف, واسلوب الكاتب علمي خالص ,فهو مؤرخ وسياسي وحضاري يضع امام القارئ صورة للحياة السياسية للعصر الذي يتحدث عنه ,كما تأخذ الاوضاع الاجتماعية والحضارية من جهده الكثير وهي اكثر مشقة في البحث من السرد السياسي للتاريخ...وحسبنا ان نتصور ان اكثر المراجع الشرقية التي رجع اليها كانت مخطوطة وآنذاك (٣١).

واكد فامبري ان معلوماتنا عن التاريخ الغابر لشعوب اسيا لم تبدأ في الزيادة الا في القرن السابع عشر اذ كانت قبل ذلك مجرد اخبار سطحية طفيفة ,وبخصوص منطقة بلاد ما وراء النهر فان التاريخ لا يعرف عنها شيئا بالقياس الى غيرها ,"لاسيما فجر تاريخ تلك

الامة التي تقطن آسيا الوسطى ,تلك البلاد التي وثقت مجريات السياسة الحديثة من صلاتها بنا برغم موقعها الجغرافي القصي ,ولتحقيق هذه الرغبة ,اقدمت برغم قلة المصادر ,وضالة الامكانيات على محاولة الاضطلاع بهذا العمل الذي لا يخلو من مشقة, الا وهو تدوين اول تاريخ لبخارى ,وفي الواقع كنت افكر منذ اول شبابي في شؤون هذه المنطقة البعيدة ,حتى افنيت كل شبابي في التأهل والاعداد النشيط لهذا ,فضلا عما قمت به من رحلات مضنية في سبيل ذلك...ويبدو ان القدر هو الذي هيأ لي ان اقتحم مناطق لم يسبقني اليها احد من قبل تقريبا او على الاطلاق ,وها انا ذا علي الان ان استكشف بالقلم حقولا جديدة كل الجدة مكتفيا في ذلك ,مع الاعتذار الشديد ,ببيان المراجع القليلة التي لا تجدي بدونها اية طريقة للدرس مهما عظمت"(٣٢).

ويقسم فامبري تاريخ بخارى الى قسمين الاول تاريخ قديم وهو تاريخ بلاد ما وراء النهر ,والثاني تاريخ حديث وهو تاريخ خانية بخارى ورغم ان الفترة التي تأتي بعد نهاية حكم تيمور لم تكن آيا الوسطى موضع اهتمام المؤرخين ,ومع ذلك استطعنا ان نستلخص من عندهم اهم ملامح ذلك الماضي هناك(٣٣).

وفي كتابة ورغم مسمى الكتاب تاريخ بخارى الا انه يستعرض تاريخ بلاد ما وراء النهر وتعاقب القوى السياسية في السيطرة عليها وكانه تاريخ لبلاد ما وراء النهر اكثر منه تاريخ لبخارى.

ولفامبري اسلوب رصين ,وخالي من التعقيد في الكتابة التاريخية حتى يمكن فهمه من اي شخص يجيد القراءة ,وغالبا ما يغير بالنص الاصلي الذي يقتبس منه ليجعل منه اكثر وضوحا ليتبعها بتعليق منه على النص ,واحيانا ما يمهد للموضوع الذي ينوي الخوض فيه ليهيئ القاريء لفهم الموضوع بسهوله ويسر ,ورغم بالبساطة التي اتبعها في طرح مواضيعه الا انه كان حريصا بإيصال المعلومة الصحيحة قدر المستطاع من دون اسلوب السرد المطول او الوقوع في مبالغات المصادر التي اعتمدها سواء في تضخيم الانجازات الحضارية لأحدى الممالك او ذكره لأعداد القتلى ,ولكن من عيوب كتابته والتي لم تؤثر على اهمية كتاباته العلمية حتى وقتنا الحاضر هو عدم قيامه بتحليل مصادره وبيان اهميتها

في اخراج مؤلفه بهذا الشكل لاسيما وانه الف (تاريخ بخارى)وغالبية مصادره لم تكن معروفة للباحثين آنذاك ,فيأخذ من مادة مصادره من دون تحليل للمصدر نفسه او اجراء مقارنة بين مادة المصادر لتغليب نص على الآخر ,ورغم هذا العيب في كتابته الا انه لا نجد خلل واضحا في المادة التي طرحها في كتابه عدا النزر اليسير من الهفوات التي وقع فيها.

كما نجده لا يتوانا في انتقاد سلوكيات الفاتحين العرب من وجهة نظرة التي اثقلت كاهل السكان في مدن بلاد ما وراء النهر ,الا انه في موضع آخر يثني على المسلمين لإسهامهم في ازدهار حضارة مدينة بخارى وسمرقند عهد الدولة السامانية, ومن جانب آخر يحمل الغزو المغولي تداعيات الانهيار الحضاري الذي اصاب المنطقة وفصل المدينتين عن بقية مدن العالم الاسلامي.

ونجد انه في ختام مقدمته عن كتابة يذكر "ها انا اقدم الآن ثمار عمل سنين طويلة الى الجمهور الكريم, ولكم تمنيت ان يتم هذا العمل وفيه من الخطأ والزلل اقل قدر ممكن ,ومهما يكن من شيء فأن كتابة تاريخ اي قطر من الاقطار لأول مرة هو دون شك عمل صعب شاق ,ويضاعف تلك المشقة ان يكون هذا القطر المعني لم تنجل عنه, الا في الجيل الحاضر ,تلك الظلمة الكثيفة التي ظلت تكتنف تاريخه لقرون"(٣٤).

خامسا .موارد كتاب تاريخ بخارى:

اكد فامبري في مقدمة كتابه تاريخ بخارى على قلة المصادر والامكانيات في محاولته تدوين أول تاريخ لبخارى ,مبينا انه سخر معظم شبابه في التأهب والاعداد النشيط لهذا العمل من خلال رحلات مضنية للمنطقة (٣٥).

يتماشى تقسيم مصادر فامبري مع تقسيمة لتاريخها قديم وحديث والذي يهمنا منها تاريخها القديم المرتبط بتاريخها الاسلامي الوسيط ويأتي في مقدمتها

١. تاريخ الطبري ,تاريخ الرسل والملوك لما انفرد فيه من ذكر روايات مهمة عن فتوحات المسلمين لما وراء نهر جيحون .
٢. تاريخ بيهق لأبو الفضل البيهقي بوصفه كتابا لتاريخ بلاد ما وراء النهر ابتدأءا بسيرة سبستكين الى مسعود الغزنوي ,وامراء كاشغر وسمرقند المستقلين .

٣. روضة الصفا لميرخوند ,وحبيب السير لخواندمير وعلم اراي عباسي وتاريخ صفوي.
٤. تاريخ جهانكشاي لعطا ملك الجويني الذي عده فامبري المرجع الاهم في تاريخ بلاد ما وراء النهر وتاريخ الترك عموما لاسيما غزوات المغول للمنطقة.
٥. ظفر نامة لشرف الدين يزدي وهو سيرة تيمور لنك .
٦. مطلع السعدين لكمال الدين عبد الرزاق(ت ٨٨٧هـ/١٤٢٣م) الذي عاش بهراة ابان فترة ازدهار الحكم التيموري ,ويعد هذا الكتاب بحسب فامبري من امتع الكتب العلمية التي كتبت عن فترة بعينها في تاريخ الشعوب الاسلامية بآسيا.
٧كتاب بابرنامه
٨. شيباني نامه يتعلق الكتاب بتاريخ الاوزبك وبطلهم شيباني خان المبكرة منذ بدأ تجواله في حوض نهر سيحون الادنى رغم سطحية واقتضاب ما قدمة المؤلف عنه,
٩ .كتاب رشيد الدين فضل الله جامع التواريخ لما يحويه من معلومات متعلقة بتاريخ المنطقة تحت الاحتلال المغولي.
١٠. كتاب النرشخي لأبو بكر محمد بن جعفر وكتبه سنة ٣٣٧هـ او ٣٣٢هـ بعنوان (اخبار بخارى)ورغم ان الكتاب كتب بالأصل بالعربية الا انه ترجم الى الفارسية بعد ١٥٠ عاما وهي النسخة التي اعتمدها فامبري في مؤلفة والكتاب يتناول تاريخ بخارى وما حولها واسوارها وابوابها وقصورها وقنواتها ونظام الحكم فيها وطريقة جباية الخراج وتاريخ الحكم الساماني للبلاد وخاصة بخارى والمدن المجاورة لها, وتفاصيل الفتح العربي لبلاد ما وراء النهر في تفاصيل لا نجدها عند غيره.
١١- كتاب شيباني نامه وهو متعلق بأعمال شيباني خان.
١٢. تاريخ سيد راقم حوليات فارسيه عادية الا انها تكشف العلماء والاعيان والشيوخ في الحقبة ما بين ٧٠٠هـ/١٠٥٥م الى عام ١٠١٣هـ/١٦٤٥م (٣٦).

ويضاف الى هذه المصادر الاولية التي اعتمدها فقد اشار انه افاد من كل ما يشير الى تاريخ بلاد ما وراء النهر في اسفار الشرق ,مما هو منشور منها ومما هو مخطوط ,او في الكتب الاوربية وكتب التراجم والرحلات (٣٧).

وعموما فقد استخدم فامبري العديد من المخطوطات التي تتبع اماكنها في مختلف مكتبات العالم كما انه لم يغفل الدراسات الحديثة الاوربية عن المنطقة ومن الجدير بالذكر انه اشار الى تفاوت مادة المصادر مما قد كان يوقعه في فخ تفاوت فصول المادة المعروضة في الكتاب مما جعله لا يسهب في عرض بعض المواضيع رغم توفر مادة المصادر عنها في كتابه بقوله" ولكني لم اخاطر بهذا الصنيع ,ذلك لان قلة المصادر ..كانت تؤدي حتما الى الاخلال بتنساق الكتاب وكما سيتجلى واضحا للعيان جفاف بعض الفصول وضآلة شأنها بالنسبة لغيرها, وكان هذا ما دعاني الى ان امسك عن تفصيل اية واقعة من وقائع الخانيات المجاورة لبخارى او تناول شؤونها "(٣٨).

سادسا .بلاد ما وراء النهر جغرافيا:

كواقع تاريخي جغرافي فبلاد المشرق الاسلامي هي البلاد التي كانت تتبع الامبراطورية الفارسية القديمة بمسمياتها المتعاقبة, فبعد تحريرها من قبل المسلمين اصبح يطلق عليها تسمية(المشرق الاسلامي)وهي الاراضي التي تلي العراق بحسب المستشرق الانجليزي غي لسترانج في كتابه (بلدان الخلافة الشرقية) وكانت تعرف سابقاً عند العرب المسلمين بخراسان, وبلاد ما وراء النهر (٣٩).

ففي زمن الخليفة عمر بن الخطاب(رضي الله عنه)(٢٣.١٣ هـ/٦٤٤.٦٣٤م)وبعد التحرير الاسلامي للعراق اثر معركة القادسية سنة ١٤هـ /٦٣٥م,حدثت سنة ٦٤١/٢٠م للهجرة معركة نهاوند ,او ما سماه العرب المسلمون معركة (فتح الفتوح)التي انتصر فيها العرب على الفرس ,وعلى اثرها سقطت مدن فارس واحدة تلو الأخرى بيد العرب المسلمين, وهرب الملك الساساني يزدجرد الثالث حتى قتل في مدينة مرو على صاحب طاحونه فارسي طمعاً بما كان يرتديه ومن دون ان يعرف من هوه , ليرث المسلمون كل الاراضي التابعة للدولة الساسانية, وهي خراسان التي, اضيفت اليها لاحقاً بلاد ما وراء النهر عهد بني أميه على يد القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي وهي الارضي الواسعة من آسيا الوسطى المحصورة بين نهري سيحون وجيحون, وعلى هذا فان اقليم المشرق الاسلامي يشمل كل من ايران (فارس, كرمان, مكران, لورستان, الاهواز) والجزء الجنوبي الغربي من روسيا المُحاذي لبحر قزوين

,ويضم ايضاً افغانستان, والجمهوريات الاسلامية التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي(اوزبكستان, وتركمانستان, وكزخستان, وطاجكستان, وقيرغيستان)وافغانستان ,وباكستان (السند احدى اقسامها الاربع)وشمال غرب الهند (البنج آب اي الانهار الخمس) ,وعلى هذا الاساس فان حدود المشرق الاسلامي ,بعد استثناء العراق الذي اصبح مركزاً للخلافة العباسية تمتد من الحدود الشرقية للعراق وتركيا الحالية غرباً الى هضبة التبت ,والصين شرقاً ,ومن دلهي غربي الهند جنوباً الى الحدود الجنوبية من روسيا الحالية شمالا, وأصبحت هذه البلاد ولايات إسلامية, تتبع الدولة العربية الاسلامية, وفي غضون قرن ونصف كان غالبية سكان (ايران ,واذربيجان) قد تحولوا الى الاسلام.(٤٠).

اما الترك من سكان بلاد ما وراء النهر والتي هي في العُرف الجغرافي تعُرف بتركستان الغربية, فقد تدرج تحولهم للإسلام لثلاثة قرون لاحقة بسبب بعد مناطقهم عن مراكز الحضارة الاسلامية ,وطبيعة معيشتهم الرعوية القائمة على الترحال والانتقال المستمر من منطقة الى اخرى بحثاً عن المراعي الخصبة (٤١).

كان اقليم المشرق الاسلامي او ما يسميه العرب المسلمون آنذاك خراسان مقسماً الى اربع اقسام ادارية يحكم كل قسم منها مرزبان عهد الدولة الساسانية, وهي في الواقع اربع حكومات كبيرة مدنية او عسكرية(اصفهباد)وهي اذربيجان في الشمال الغربي, وفارس في الجنوب الغربي, وسجستان في الجنوب الشرقي, وخراسان في الشمال الشرقي, وهي تنطبق على الاتجاهات الكبرى الاربع ,لان اذربيجان تفتح الباب على ارمينية والقوقاز وباب زكروس يطل على بلاد ما بين النهرين ,وباب قندهار الى الهند, وباب خراسان الى السهل الطوراني واسيا الوسطى, وفي العهد الاسلامي ظلت المشرق الاسلامي مقسمة اربعة اقسام(ارباع) ايضا واحتفظ العباسيين بهذه التقسيمات الكبرى للأقاليم الايرانية , ومما يؤيد تقسيم خراسان الى ارباع نص اليعقوبي الذي اورده في ولاية عبد الله بن عامر(ت٥٩هـ/٦٧٨م) بانه صير خراسان ارباعا ,وكانت مدن ما وراء النهر ملحقة ادارياً بخرسان عندما سيطر عليها المسلمون في وقت لاحق, وهي بحسب وصف البلدانيين المسلمين من الغرب الى الشرق كلاتي:

القسم الاول(إيران شهر)وهي:

نيسابور, بيهق, , قهستان, وهراة, وبوشنج, وباذغيس,وطوس,سجستان ,كرمان ,مكران, فارس.

القسم الثاني (مرو الشاه جان)وهي:

سرخس, نسا, ومرو الروذ, الطلقان, جوزجان, باذغيس, ابيورد, هزارأسب,وعلى ضفاف نهر جيحون الغربي مدينتي خوارزم, وآمل.

القسم الثالث(بلاد ما وراء النهر) وهي المدن التي تقع على ضفاف نهر جيحون الغربي وهي:

ختل, الباميان ,خست, بذخشان, ترمذ, طخارستان, سمنجان, الصغانيان ,الباميان ,الفارياب, الترمذ وهي شرقي بلخ ,بذخشان وهي مدخل الناس الى التبت ,ومن اندرابه مدخل الناس الى كابل , طخارستان السفلى .

القسم الرابع(بلاد ما وراء النهر)وهي المدن التي تقع بين نهري جيحون وسيحون وعلى ضفاف نهر سيحون وهي:

بخارى, الشاش ,الطرابند ,الصغد ,نسف ,الرويتان ,بناكت ,الرويستان , أسروشنه, فرغانه ,سمرقند, بناكت ,سنام قلعة المقنع ,نسف .(٤٢).

واشار فامبري في هذا المجال ان المتعارف من تسمية بلاد ما وراء النهر انها البلاد التي تقع الى اليمين من حوض نهر جيحون الا ان بعض الجغرافيين المسلمين كالبلخي يضيف مناطق من الجانب الايسر بحوض نهر جيحون الاعلى لها والسبب ان الحدود السياسية للإقليم ومنذ عهد السامانيين الذين كانوا ابناء هذا الجزء من خراسان حكمهم موحد بعد امتداد سيطرتهم العسكرية الى ما وراء نهر جيحون, وحتى العصر الحديث مناطق الطالقان وطخارستان وزم تعبر اجزاء مكملة لبخارى برغم وقوع اقسام منها او وقوعها كلها على الشاطيء الايسر لجيحون(٤٣).

واضاف انه كانت مدن ما وراء النهر ملحقة اداريا بخراسان لان ما ذكر من هذه البلاد كان مضمونا الى والي خراسان وكان اسم خراسان يجمعها(٤٤).

وبين ان هذا الاقليم توسع شرقا حتى اصبح يضم مدن في حوض نهر سيحون شرقا اذ اصبحت المنطقة اداريا تخضع لسلطة ادارة واحدة متمثلة بالسامانيين او الغزنويين او السلاجقة ووقد كانت قبيل سيطرة تلك القوى الاسلامية خاضعة للترك ,وكانت حاضرة هذا المنطقة الواسعة هي مدينة بخارى والتي كانت ايام ازدهارها اعظم مدن العالم الاسلامي(٤٥).

رابعا. الفتح العربي لبلاد ما وراء النهر :

وضع فامبري عنوانا لفصله الثاني (غزوات العرب وانتشار الاسلام)والذي هو عبارة سياق تاريخي يؤكد بالدرجة الاولى على انها غزوات غايتها الاستيلاء على الغنائم وتحقيق المكاسب مبينا ان هذه الغزوات نحو ما وراء النهر بدأت على عهد زياد بن ابي سفيان(زياد بن ابيه)سنة ٤٦هـ/٦٦٦م,ومن بعده ابنه عبيد الله بن زياد بأمر من معاوية بن ابي سفيان سنة ٥٤هـ/٦٧٢م (٤٦) وبعد ان اصبح واليا على خراسان وهو ابن خمس وعشرين سنة وتم الصلح مع تركان خاتون بعد هزيمة جيشها بالف الف ودخل مدينة بيكند (٤٧).

ومن العبارات التي ذكرها فامبري بهذا الخصوص "فلا عجب ان نرى هؤلاء العرب يستهويهم ما عرف عن بلاد الصغد من الثراء فيغزونها ,الغالب انهم اقتحموا هذه البلاد حتى شواطئ جيحون دون خطة مبيته للغزو"(٤٨).

وعند مهاجمة العرب لبخارى من دون ان ينجحوا في السيطرة عليها يذكر "وحمل المسلمون معهم عند رجوعهم الكنوز والاسلحة والثياب وادوات الذهب والفضة وكان من بين ذلك نعال الملكة مرصعا بالأحجار الكريمة قومت بعشرين الف درهم وقد خلب منظرها لب ابناء الصحراء العربية اصحاب الفطرة حين اطلعوا عليها ,وانزل هؤلاء الغزاة الخراب بكل المناطق التي مروا بها في تقهقرهم حتى اقتلعوا الاشجار التي صادفتهم في طريقهم "(٤٩). ولإنقاذ الملكة خاتون بلادها بخارى من الخراب قدمت جزية سنوية مقدارها الف الف درهم ولم يمنع ذلك مهاجمة العرب لبخارى بعد ثلاث سنوات بقيادة سعيد بن عثمان ذاكرا فامبري واستولوا عليها,وانه(القائد المسلم) شغف بالملكة خاتون حبا من دون ايضاح ذلك عدا

الاغاني التي يرددها اهالي بخارى ,واعقب ذلك التوجه من بعدها الى الصغد وسمرقند وبقية مدن بلاد ما وراء النهر (٥٠).

"اقبل بقية جند العرب فقاتلوا الترك حتى هزموهم, وبلغت الغنائم من الكثرة حتى خص كل جندي ما يقوم بعشرة آلاف درهم"(٥١).

ويتكرر الأمر ثانية عهد ولاية قتيبة بن مسلم الباهلي (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م)على خراسان التي افتتحت اجزاء شاسعة من بلاد ما وراء النهر ارسله الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠ ٩٥هـ/٦٦٠ م - /٧١٤ م) سنة ٨٦هـ/٧٠٤م لنشر الاسلام ,وهنا وللمرة الثانية يبين فامبري انه بعد تولي قتيبة توجه الى فتح اراضي ما وراء النهر كما فعل سلفه عبيد الله بن زياد عهد معاوية بن ابي سفيان, وما ان ثارت بيكند بسبب من نصبه واليا عليها,وهو ورقة بن نصر الذي جر الكارثة على نفسه وقتل بسبب انه حمل الى داره فتيات جميلات لم يصبر ابوهن على تدنيس شرفه, مما اثار غضب قتيبة فعاد الى المدينة وامر بنهبها واحراقها وبقتل كل من بها من البالغين وسبي النساء والاطفال ...ولنا ان نتصور مبلغ ما كان عليه بدو الصحراء البسطاء من لهفة للاستحواذ على كنوز المغلوبين المكدسة"(٥٢) ,وهي رواية مقتبسة من النرشخي مفادها انه اخذ فتاتان جميلتان من ابوهن فوثب الرجل وطعن ورقه بسكين في صرته ولكنها لم تكن القاضية ولم يقتل فلما بلغ قتيبة الخبر عاد وقتل من كان ببيكند من اهل الحرب جميعا وكان اهل بيكند نجارا الى نهاية الرواية التي اقتبسها فامبري عن النرشخي الذي نجده يترحم على ابو مسلم الخراساني حصرا في كتابه مما يؤكد حقده على قاتليه ممن يمثلون الخلافة العباسية (٥٣). في حين لا نجد اثر لمثل هذه الرواية عند البلاذري وهو من خصص كتابة للفتوحات الاسلامية حصرا مما يجعلها مثارا للشك ,رغم اشارة البلاذري الى فداحة الخسائر البشرية التي اصيب بها سكان بعض المدن المنتفضة ضد الوجود العربي كخوارزم (٥٤).

ومن هذه النصوص وغيرها التي ذكرها فامبري نجده يؤكد على الصورة النمطية التي كونها الاستشراق للفتوحات العربية الاسلامية ,وإن كانت تحمل شيئا من المصداقية في بعض الجوانب لاسيما عهد الدولة الاموية ,ولكن ليس بالشكل الذي يصوره فامبري للقارئ

بحيث يجعل من فتوحات العرب دون تخطيط سوى الحصول على الغنائم وكأن بلاد ما وراء النهر لم تكن جزءا من اراضي الدولة الساسانية التي سقطت بيد المسلمين والتي لابد من اخضاعها خشية محاولة الصين السيطرة عليها بعد الفراغ الاداري الذي اعقب نهاية الحكم الساساني فيها

كما انه يرسم مقاربة غير مباشرة بين تصرف جنكيزخان عند احتلاله مدينة خوارزم مع تركان خاتون حاكمة المدينة وتصرف القائد العربي الفاتح لمدينة بخارى.

وفي وصفه للعرب بالبداوة مقارنة بالترك غاية في التناقض والاخيرين فالأخيرين آنذاك كانوا اكثر بداوة من العرب بمراحل ,كما ان املاك الترك مقارنة بإملاك الدولة الساسانية في خراسان والعراق تعد قطرة في بحر مما يبين الصورة النمطية التي يحملها المستشرقون بصفة عامه عن الفتوحات الاسلامية ,وان وجدت لها جذور في بعض المصادر الاسلامية فهي غالبا ما كانت تفتقر لمنهج التمحيص التاريخي بل كانت حريصة على جمع اكبر عدد من الروايات عن كل حادثة تاريخه وان كانت متناقضة احيانا تاركا للقاري اقتناء الصحيح منها كما انها لا تخلوا من بعض التعصب تجاه العرب الفاتحين لبلادهم مهما صح اسلام مدونيها فللأسف تاريخ العرب كتب بأقلام غير العرب وخاصة اقليم المشرق الاسلامي اذ كتب بيد مواطني الاقليم من غير العرب لاسيما الفرس.

غير ان الغير متلائم مع ما سبق ما اختتم فامبري وصفه لقتيبة بن مسلم الباهلي عند مقتله سنة ٩٦هـ/٧١٧م "ذلك الرجل الذي اقام للإسلام دولة قوية عظيمة في الشرق واجهز على دين زرادشت ذلك الدين الذي اثخنته الجراح في القادسية والنهروان ,وغرس مكانه تعاليم الاسلام في ارض كانت على الدوام اخصب البقاع حمية وتحمسا لهذه العقيدة الجديدة(٥٥).

ثامنا .الحكم الساماني لبلاد ما وراء النهر:

شهدت بخارى تطورا حضاريا مهما بعد ان صارت حاضرة السامانيين, حيث بلغت شهرتها الآفاق ,وكان اسماعيل بن احمد الساماني (٢٧٩-٢٩٥هـ/٨٩٢-٩٠٧م)اول من جعلها مقرا لحكمه بعد ان حلت محل سمرقند, وقد افاض الرحالة والجغرافيين في وصفها

وهي من اقدم مدن تركستان, بنيت قبل الاسلام بقرون عدة اشتهرت بأسواقها المختلفة وبمساجدها بعد دخول الاسلام اليها سكنها العرب الى جانب الترك عهد القائد قتيبة بن مسلم الباهلي ,وكانت معقلا للدراسات والمناظرات العلمية التي حضرها احيانا امراء السامانيين(٥٦).

ذكر فامبري ان حاجة المأمون لفرض سيطرته على بلاد ما وراء النهر التي لم يكتب لها الاستقرار منذ نهاية الحكم الاموي الى كسب ود السامانيين "تلك الاسرة التي يدين لها اقليم جيحون, وتاريخ بخارى المستقل بخاصة بأبهى عصوره"(٥٧).

وتبدأ الحكاية عندما استنجد امير خراسان اسد بن عبد الله بأحد اعيان بلخ من بقايا الزرادشتين ,ويدعى سامان ليوليه على بلده فاعتنق الاسلام وسمى اول اولاده اسد الذي رزق بأربعة اولاد الذين عاصروا المأمون وقضوا على الخارجين على المأمون فكافئهم على صنيعهم, فاقطع نوح سمرقند .واقطع احمد فرغانة ,واقطع يحيى طشقند, واقطع الياس هراة(٥٨).

ويرجع فامبري الى استقرار البلاد عهد السامانيين الفرس على عكس ولاتها العرب "مرد ذلك كان ان العقيدة الاسلامية لم تقض القضاء كله على الشعور بالقومية بين الفرس ,ذلك ان عمال الخليفة من العرب كانوا مكروهين من الاهلين خلاف العمال من اهل البلاد انفسهم ,وهذا السبب الحقيقي الذي مكن لحفنة من العسكريين حبن تمردوا على الخليفة ,من ان ينجحوا في تأسيس دولة جديدة لهم ,وفي هذا كله تفسير للسهولة التي استطاع بها اسماعيل ان يؤسس دولة له دولة مستقلة كان قيامها هدفه الحقيقي منذ اول الامر برغم ما كان يظهره من الخضوع للخليفة ,ولم تعد بخارى مجرد حاضرة وحسب, وانما صارت مركزا لكل النشاط والحركات الفكرية التي ظهرت بعد ذلك في القسم الشرقي من بلاد الدولة الاسلامية ,وحين قضى العرب على كيان ايران القومي وبعد واقعة القادسية ,واجتاح ابناء الصحراء العربية بلاد فارس بقت ذرات الحضارة الفارسية تحت المعابد في ايران الشرقية خاصة عند بلخ وبلاد ما وراء النهر ,ليذكي من نارها السامانيون من بعد ذلك حتى اشرقت اسلامية خالصة في اتجاهها"(٥٩). ويصيب فامبري في رأيه هذا كبد الحقيقة اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار

ان الثورة العباسية في خراسان كان مادتها الاساس الفرس بقيادة ابو مسلم الخراساني الذي باءت محاولاته في الحصول على ولاية خراسان ,وادى مقتلة الى قيام اضطرابات في شرق ايران ,فقامت العديد من حركات التمرد والعصيان بوجه الحكم العربي العباسي وربما اعتبره البعض احد خلفاء زرادشت الذين انتظروا رجعته ليملأ الارض عدلا ويعيد مجد الدولة الساسانية, ورغم تقريب العباسيين لأسرة البرامكة الفارسية ,الا ان ذلك لم يجدي نفعا في الرغبة بحكم شبه مستقل خاضع لأسرة فارسية في خراسان وهو ما تحقق لاحقا فالشيء الذي لم يحققه الفرس وقائدهم ابو مسلم الخراساني عهد المنصور العباسي في السنوات الاولى للخلافة العباسية ,نجدهم حققوه بعد جيلين فقط ,وتحديدا ٦٦ سنة ,عندما قدم قائد الجيش العباسي في خراسان طاهر بن الحسين الفارسي الخراساني دعمه هذه المرة للمأمون بن الرشيد بن المهدي بن ابو جعفر المنصور (٦٠).

فادرك المأمون والخلفاء الذين اعقبوه خطورة المرحلة التي تمر بها الخلافة العباسية فاستقر رايهم في الاخذ بمبدأ اللامركزية في حكمهم وعلاقتهم السياسية والادارية مع خراسان, فكان تعيين الاسر الايرانية في خراسان ضرورة ملحة لإخماد الميول الفارسية التي ترمي الى الاستقلال عن الدولة العباسية ,والتفرغ لمواجهة هجمات الترك في بلاد ما وراء النهر ,وحاول المأمون الاستفادة من هذا الاجراء بتعيين اسرة فارسية على خراسان رغما عنه بأن يضرب الفرس بالفرس لإخماد الميول الفارسية ومراقبتها عن كثب واحلال روح الاستقرار والهدوء في خراسان .

وما انطبق على خراسان ينطبق على بلاد ما وراء النهر التي كانت فيها العديد من الاسر الفارسية التي تمتد بجذورها في المنطقة لعقود طويلة من الزمن

ويؤكد فامبري على مكانة بخارى في العلوم الدينية على عهد السامانيين ذاكرا سلسلة من العلماء منهم البخاري شيخ المحدثين صاحب جامع الصحيح ويختتم مقاله في هذا المجال بقوله "والامراء في ان السامانيين الاوائل, بما بذلوه من جهود موفقة بإزاء لغة ايران الاصلية ,جديرون بكل ثناء اكثر من غيرهم من الامراء اصحاب اللسان الفارسي ممن حكموا اسيا حتى اليوم"(٦١).

فكانت بلخ وسمرقند وبخارى تحت حكم السامانيين هي الملاذ الاثير عند العلماء المسلمين الحريصين على الاستمساك بأدق دقائق الشرع والسنة, وبهذا ازدهرت علوم الدين بآسيا الغربية

على الصورة التي عرفتها مكة والمدينة نفسها ,واصبح لبخارى سيادة على مختلف قبائل آسيا الوسطى حتى على عهد الدولة الغزنوية اذ بدو كأنهم خلفاء لآخر اسر فارسية حكمت ارض الحضارة الايرانية القديمة(٦٢).

تاسعا .السيطرة السلجوقية على بخارى وبلاد ما وراء النهر:

ينحدر السلاجقة من احدى القبائل الغزية, ينتمون الى جدهم سلجوق بن دقاق كان تابعاً لاحد خانات تركستان الشرقية (سهوب القرغيز)بيغو, وقائد لجيشة, والذي دخل الاسلام, وترك الخدمة في بلاط بيغو, وغادر مع قومه الى مدينة (جند) عند مصب نهر سيحون, واقام صلات مع اهله من المسلمين, ويكاد يجمع المؤرخون بأن السلاجقة اخذوا الاسلام عن السامانيين حكام تلك المناطق آنذاك, خلف سلجوق والده في زعامة القبلة الغزية والتي تسمت بأسمة, واصبح يطلقون على انفسهم سلاجقة, وعندما أصبحت الاوضاع السياسية ملائمة في بلاد ما وراء النهر لدخول السلاجقة اليها, حيث كان السامانيون في صراع مع القره خانيين, طلب السامانيون المساعدة من سلجوق في حربهم معهم ,فاستجاب سلجوق واتباعه فشارك في هذه الحرب كحليف لهم, وكان لهذه المساعدة اثرها عند السامانيين الذين مثل لهم السلاجقة الفرصة الاخيرة لمواجهة القره خانيين, فأذنوا لسلجوق واتباعه في الاستقرار على ضفاف نهر سيحون لقاء تعهدهم بحراسة المناطق الحدودية, واتخذ سلجوق من مدينة (جند) قاعدة له ومنها انتشروا في بلاد ما وراء النهر بعد ان اكتملت هجرتهم من تركستان الشرقية, واعتنقوا الاسلام على المذهب الحنفي الذي اخذوه من السامانيين (٦٣).

وفي هذه المدة كان السلاجقة قد انشأوا قوة عسكرية نظامية ,واحتل الابن الاكبر لسلجوق مركز الزعامة, وادرك محمود الغزنوي ما للسلاجقة من قوة وبأس وشعر بمدى الخطر الذي يمكن ان يشكلوه على دولته فقرر القضاء عليهم فاستعمل الحيلة للقبض على اسرائيل فارسل اليه يدعوه للقائه بالقرب من نهر جيحون لعقد اتفاقية صداقه, وهناك تم

القبض على اسرائيل وبعض خواصه ,وسجن في قلعة في الهند بقى فيها مدة سبع سنوات, كرهينة كفلت لمحمود الغزنوي, استكانة السلاجقة ,وكان لتلك الحادثة اثرها المؤلم عليهم فصمموا على الثائر لزعيمهم والانتقام له ,خلف ميكائيل بن سلجوق أخاه اسرائيل زعامة السلاجقة, وادرك بأن قوة السلاجقة ادنى من قوة الغزنويين, وان من الصواب مهادنتهم, واخذ بجمع شتات قومه ,وارسل الى السلطان محمود الغزنوي يلتمس عبور نهر جيحون الى مدينة (نسا, وباورد)لأن مقامهم قد ضاق بهم ,ان مراعيهم أصبحت لا تكفي مواشيهم, وكان ذلك عام ٣٨١هـ/١٠٢٧م,ووافق محمود الغزنوي على طلبهم متجاهلاً نصيحة حاكم (طوس)له بعدم السماح للسلاجقة بعبور النهر وذلك ظناً منه ان السلاجقة ,قد ضعفوا بعدما حل بزعيمهم ,وانهم لن يجرؤا على التمرد مجدداً (٦٤).

بخصوص هذا الفصل نجد فامبري لا يركز معلوماته على بخارى او حتى بلاد ما وراء النهر بالقدر الذي يتعلق بأصل السلاجقة وتحركات السلاجقة لحين وصولهم الى العراق .

وتبدأ احداث الاجتياح السلجوقي لخراسان سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م اي بعد وفاة السلطان محمود بسنة واحدة فقط عندما طلب طغرل بك من السلطان مسعود بن محمود الغزنوي التوجه من نسا وبيورد الى بقية مدن خراسان الذي قوبل بالرفض مما استفز طغرل وبدأ بالزحف نحو مدن خراسان مما حتم الصدام بينه وبين مسعود وهو ما حدث الا انه المعركة الفاصلة بينهما كانت سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م هزم فيها مسعود هزيمة تامة لاذ من بعدا بالفرار الى غزنه وقد وافاه اجله بعد ذلك بقليل (٦٥).

ونلاحظ ان فامبري يخرج عن صلب موضوعه المتعلق ببخارى او على الاقل بلاد ما وراء النهر ليتطرق الى استقبال الخليفة القائم بأمر الله (٣٩١ – ٤٦٧ هـ / ١٠٠١ – ١٠٧٥ م)، للسلطان السلجوقي طغرل بك (٣٨٥ – ٤٥٥ هـ/٩٩٥ – ١٠٦٣ م) ومن ثم حروب السلاجقة مع البيزنطنيين في الاناضول (٦٦).

ويذكر فامبري بان "ما يثير العجب أن اسرة شيوخ القبائل التركية هؤلاء يعجزون كل العجز في ان يحتفظوا بكيانهم بنجاح في موطنهم القديم فيما وراء جيحون ,وهم الذين بلغوا الى تمكين نفوذهم في كل انحاء الشرق الاسلامي أمدا طويلا ,بل وفي افريقية نفسها,

واسقطوا الكثير من العروش القديمة واقاموا اسر حاكمة كثيرة ,بدأ نفوذ السلاجقة بالتقلص في بلاد ما وراء النهر بنفس النسبة تماما التي اخذت فتوحاتهم تعم ايران وعربستان والاناضول...لدرجة وجد الب ارسلان(١٠٦٣-١٠٧٢) نفسة مضطرا بعد ذلك بسنوات قليلة الى ان يعبر جيحون بجيش كبير في حملة كلفته حياته"(٦٧).

ويعلق فامبري على نهاية دولة السلاجقة بقوله "انتهى حكم اول اسرة تركية في بلاد ما وراء النهر ,ومن العجيب ان نرى اصحابها لم يساهموا في عهدهم بأي نصيب على الاطلاق لرفع شأن موطنهم القديم من الناحية السياسية او في تقدم مواطنيهم الحضاري فهؤلاء السلاجقة ووهم انفسهم من الترك كانوا يتفاخرون بما استولوا عليه من ارضين في آسيا الغربية ويرون ذلك الاقليم الصغير على جيحون غير جدير باهتمامهم في الغالب"(٦٨).

عاشرا .بخارى ,وبلاد ما وراء النهر عهد الدولة الخوارزمية:

تناول في هذا الفصل من كتابة الصراع السياسي الذي احتدم بين السلاجقة والخوارزميين الذين استطاعوا تحقيق استقلالهم ومن ثم تقويضهم للنفوذ السلجوقي في خراسان والقضاء علية ,ومن جانب آخر الصراع المحتدم في بلاد ما وراء النهر حيث العاصمة خوارزم التي تحولت في ازمنتها الاخيرة عنها الى سمرقند بين الدولة الخوارزمية والقره خطاي ومن ثم الغوريين وبعد عقود انتهى الامر بأن اصبحت الدولة الخوارزمية السيد الاوحد لبلاد ما وراء النهر وخراسان(٦٩).

ويبين فامبري نجاح "تكش(٥٦٧-٥٩٦هـ/١١٧٢-١٢٠٠م) في ان يقيم له دولة لا تقل في اتساع رقعتها عن دولة السلاجقة الاولى او دولة السامانيين ,برغم ما كان من ميل اتباعه الى اثارة الفتن ,بل وميل ابنائه بدورهم اليها كذلك (٧٠), ويقصد هنا حرصه على السلام مع دولة القره خطاي في الشرق وان كلفة ذلك دفع جزية الى زعيمهم ,الا ان هذا السلام ينتهي عهد علاء الدين محمد خوارزمشاة بن تكش(٥٩٦هـ -٦١٧هـ/١٢٠٠-١٢٢٠م) الذي دخل في حروب متواصلة استمرت عشر سنوات ,ولولا ظهور كوجلك على

ساحة الاحداث واتفاق مع ضد القره خطاي وتقاسم املاكهم لما تسنى لخوارزمشاه ان يمد حدود دولته الى ضفاف نهر سيحون عند حدود مدينتي اترار وآب(٧١).

ويوضح فامبري العلاقة المتوترة منذ ايام تكش مع الخلافة العباسية اذ ارادت ان تضطلع بالدور الذي كان يلعبه السلاجقة اتجاهها وهو ما كانت ترفضه الخلافة العباسية ومما زاد من الامر سوءا اكتشاف رسائل موجهة من الخليفة العباسي الناصر الى الامير الغوري يحرضه فيها على الخوارزميين عند اجتياح محمد خوارزم لغزنه مما جعله يقرر تغيير الخليفة العباسي الناصر لدين الله(٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١٢٢٥م)ولكن ذلك اصطدم بالظروف الجوية التي تعرض لها جيشه شمالي العراق ,من دون ان يذكر فامبري هذا الحدث سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م (٧٢) الا ان هذا الامر لم يدم على الدولة الخوارزمية ففي عهد اخر ملوكها علاء الدين محمد خوارزمشاه المتغطرس حدث الصدام مع المغول عهد قاآنها الاول جنكيزخان لوقوع ما يعرف بالتاريخ حادثة أترار (٧٣).

من اللافت للانتباه ان فامبري لا يذكر بداية العلاقة بين جنكيزخان ومحمد خوارزمشاه اذ كان الاول يريد اقامة علاقات تجارية لتمرير بضائعه المتراكمة من سيطرته على الصين خاصة عبر اسيا الوسطى الخاضعة للدولة الخوارزمية(٧٤).

ويذكر فامبري وذلك نقلا عن الجويني بان غاير خان(اينالجق) نائبه على اترار ومعه رساله يفضي اليه فيها بأنه قد نجح في القبض على اربعمائة من عيون جنكيزخان كانوا قدموا الى اترار في لباس تجار من المسلمين ,وانه في انتظار اوامر السلطان بهذا الصدد, وانساق السلطان وراء عواطفه, وكانت قد وصلته رسالة من جنكيزخان اثارت ثائرته فامر بقتل هؤلاء الاسرى وانا لنرى الجويني على حق حين يقول "ان دمهم اهرق ولكن كل قطرة منه قد كفر عنها بسيل جارف من الدماء, وان رؤوسهم قد سقطت ولكن كل شعرة فيها كلفت مئات الالوف من الناس حياتهم"(٧٥),وكان ذلك سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، لم يستطع جنكيزخان حينها ان يمسك نفسه من بعد ذلك عن ان يشهر سيفه نحو الغرب وهو الذي عقد له لواء الظفر والنصر ذلك الوقت في الشرق, وهكذا كان السلطان محمد بسلوكه هذا هو المسؤول

الاول عن تلك المصائب وذلك الدمار الذي يستحيل اصلاحه والذي انزله الغزو المغولي ببلاد ما وراء النهر والعالم الاسلامي الشرقي كلة وتعدى ذلك الى جزء من أوربا "(٧٦).

ومن النقاط التي ممكن الاشارة اليها في طروحات فامبري عدم اجراءه مقارنة للروايات التي تناولت حادثة اترار كما فعل بارتولد في مصنفه تركستان(٧٧), ومن ناحية اخرى فهو لا يتفق مع دوسن ,وهوارث اللذان جعلا من الحادثة محض صدفة على حد قولهم(حادثة غير مقصودة) لا يتحمل مسئوليتها اي من الطرفين (٧٨).

في حين يحمل فامبري المسؤولية كاملة لمحمد خوارزمشاه وكأن جنكيزخان هو من كان الضحية فالأخير ومن متابعة سلوكياته العسكرية في شرق اسيا كان مبني على اسلوب التجسس ومن ثم الغزو لتلك البلاد ومن دون اي مبرر فقرائن الاحوال الخاصة بفتوحاته بعد احتلاله للدولة الخوارزمية لم تستدعي اي حجة سواء في احتلال العراق او شرق أوربا فكانت خطة جنكيزخان هو الحصول على ثروات العالم اجمع من خلال السيطرة علة مراكزه التجارة الممتدة علة طول الشريان الاقتصادي للعالم آنذاك هو طريق الحرير الممتد من الصين مرورا بمصر ونهاية بشرق أوربا وبذلك يمكنه توريد ثروات شرق اسيا الى شرق أوربا مرورا بأفريقيا والمتمثلة بنافذتها التجارية الى العالم وهي سواحل مصر.

اما السبب الاكثر اهمية ان المغول لم يتقبلوا ان تكون هناك قوى سياسية تعاملهم على قد المساواة بل الاكل عليه ان تبعيته لقاآن المغول الاعظم وهذا ما سنقرأه في المراسلات التي حدثت بين لويس التاسع مع منكو قاآن الذي رفض كلمة التحاف معه وانما التابع ان اراد تحقيق غايته في القضاء على دولة المماليك مما جعل الاخير يندم على مراسلة المغول , وخاطبهم قائلاً: ايها السادة ,لقد بعث ملك فرنسا الينا ملتمساً عطفنا للدخول في طاعتنا ,وهاكم الجزية التي انفذها الينا فأنظروها ,فإذا لم تستسلموا لنا فإننا مرسلون في طلبه للقضاء عليكم", واثناء توجه تلك السفارة الى الملك لويس كانت الامور تسير نحو الاسوأ بالنسبة الى هذا الملك حيث تكبد خسائر فادحه في الشرق العربي- مصر- فقد هزم الملك ,بعد ان قتل غالبية جنده وأسر وعائلته في معركة المنصورة ورحل الملك وقواته من مصر بعد دفع الفدية(٧٩) ، وعند قيسارية تم التقاء سفارة اندريه لونجومو بالملك لويس في(ذي الحجه

٦٤٨هـ/آذار ١٢٥١م),ومعها الرد المغولي فصدم الملك لويس بشدة ما حملته تلك السفارة اليه من خان المغول(٨٠) .

١. اعلان التبعية من قبل الملك الفرنسي للمغول

٢. تقديم الهدايا والاعطيات في كل سنه وهي بذلك تكون بمثابة الجزية

ونتيجة لما جاءت به هذه السفارة وعودة الملك لويس الى فرنسا وهو يجر اذيال الخيبة , الذي ابدى اسفه على ارسال تلك السفارة الى المغول وندم ندماً شديداً(٨١).

فقد باءت احلامه بالفشل وصدم بشدة ما حملته تلك السفارة من اخبار محزنه في ان المغول لم يظهروا أي تعاطف مع النصارى في الغرب(٨٢) ،وانه لم تعد عليه تلك السفارة بأي مساندة ايجابيه من المغول تعوض له عن خسارته وهزيمته في حملته على مصر , حيث لم يكن لتلك السفارة أي تأثير على مجريات الأحداث ,كما أنها لم تحدث أي تقدم أوربي– مغولي سواء ديناً كان او سياسياً(٨٣) .

وفي تلك الفترة كان المغول يتطلعون الى ارسال بعثات الزعماء الغرب اللاتيني بهدف تحقيق توافقات سياسية لاستكشاف الطرق المؤدية الى قلب اوربا واختتمت احدى البعثات مطالبها التي وجهت الى البابا والمسيحين تضمنت

١–ان يشخص البابا بنفسه ويعلن خضوعه لهم دون قيد او شرط

٢–ان يبعث برد واضح على هذه المطالب بالسرعة الممكنة, سواء بالقبول او الرفض(٨٤).

احد عشر .الاحتلال المغولي لبخارى وبلاد ما وراء النهر:

ابتدأ فامبري فصله الثامن من كتابة الغزو المغولي بانهم جنس يشبه الاتراك ,و "هذا الجنس عام ٥٤٩هـ/١١٥٤م بطلا يدعى تيموجين صاحب اطماع وارادة حديدية وعزم مكنته كلها تمام التمكين من يطوع طبيعة بني جلدته البدائية الخشنة الى اداة صالحة أمدته بتلك القوة التي اجتاح بها العالم الى ما وراء حدود مراعيه بكثير...ولم يظهر على مسرح الاحداث الابعد ان تجاوز الاربعين من عمره "(٨٥).

ليتتبع انتصاراته المتتالية في شرق القارة الآسيوية, (٨٦).

حتى يبدأ بعام ٦١٥هـ/١٢١٨م جبهة غرب اسيا واجتياح اراضي الدولة الخوارزمية في اعقاب حادثة اترار ,و فامبري في هذا لا يختلف عمن سبقه في ايراد تفاصيل هذه الاحداث سواء دوسون او هوارث (٨٧).

فضلا عن اعتماده مادة الجويني تاريخ فاتح العالم بشكل كبير ومن بعده ما اورده ابن الاثير ولعل سرعة هذا الاجتياح الذي استغرق فقط سنتين(٦١٦-٦١٨هـ/١٢١٨-١٢٢٠م)وبضعة اشهر لدولة شاسعة المساحة كالدولة الخوارزمية تؤكد الافتراض بأن عيون جنكيزخان كانت في كل مكان, بحيث كان على دراية واسعة بكل المسالك والطرق المؤدية الى مدن الدولة الخوارزمية والتي تقريبا حوصرت جميعا في اوقات متقاربة جدا لم يفصل محاصرة اسوارها سوى مسافة الطريق اذ توزعت الجيوش التي كان يقودها ابناء جنكيزخان عليها بينما خص جنكيزخان نفسة لمحاصرة اترار التي صمدت عدة اشهر الا انها سقطت اخيرا وامر بسكب الفضة المذابة في اذني حاكمها بسبب طمعه(٨٨).

وفيما يخص مدينة بخارى فيذكر فامبري انها استسلمت من دون قتال بعد ان امنهم الغازي على انفسهم ان سلموا مدينتهم وتوجه "جنكيزخان الى مسجده الجامع الفخم ,وكان السامانيون قد بذلوا فيه كثيرا من الاموال ليبدوا في اروع صورة ,فدخله بفرسه ووقف بإزاء المنبر ظانا انه قصر السلطان حتى قيل له انه دار عباده فنزل عن دابته"(٨٩) ليأمر ببدأ اعمال السلب والنهب ولكن من دون قتل ,والحق الحرفيين بجيشه للاستفادة من خدماتهم لاحقا, وهنا يقتبس فامبري نصوص ابن الاثير عن ما احدثه المغول في المدينة من خراب ليعلق من بعدها" وهكذا انتهى حال اهل بخارى الى احط درجات البؤس والشقاء وفرقوا في الارض وهم الذين ذاع صيتهم زمنا طويلا بما كانوا عليه من كلف بالثقافة وشغف بالفنون ,وما شاع عنهم من مكارم الاخلاق (٩٠).

وبعد بخارى يذكر فامبري سقوط سمرقند التي قتل اغلب سكانها حتى من استسلم للمغول, والمدن الخوارزمية الاخرى حتى اصبحت بلاد ما وراء النهر بالكامل بيد جنكيزخان(٩١) .

وذكر فامبري نهاية السلطان محمد خوارزمشاه المذلة بعد ان التجأ الى جزيرة في بحر الخزر(قزوين)"ولئن كان افلت من انتقام عدوه البربري الا ان الحزن كان قد ركبه لما اصاب اسرته اذ كان افرادها جميعا وقعوا في ايدي المغول, ومات في الثاني والعشرين من ذي القعدة عام ٦١٧هـ/١٢٢٧م فقيرا شريدا حتى لم يجدوا ما يكفنونه به الا ثوبه الذي كان يرتديه...وجعل ولاية العهد لابنه جلال الدين"(٩٢).

وهنا يصف فامبري تداعيات الغزو المغولي على بلاد ما وراء النهر عند ذكره وفاة جنكيزخان بقوله "بعد ان ترك من ورائه بكل اسيا آثار النار والحديد التي اشاع بها, بشغفه بالحرب ,الدمار الشامل في القارة كلها ,وتمثلت بأبشع صورها في بلاد ما وراء النهر حيث قضى على حضارة اجيال ,وصار اهلها الى همجية موغلة أنسوا معها ماضيهم السابق وضاع بها كل امل لهم في المستقبل, ولم يتعرض اي جزء من اجزاء آسيا كلها الى ما تعرضت له الاقاليم الواقعة على جيحون وسيحون من القسوة والعنف بسبب غارات جموح المغول عليها"(٩٣).

ويلخص فامبري الرؤية العامة للمؤرخين المسلمين عن المغول من دون تفنيد مما يدلل اتفاقه ضمنا معها "ان قاريء التواريخ الشرقية سوف يصطدم بتكرار وصف المغول بانهم همج اجلاف ,ورجال حرب ان الصورة التي يضعها التاريخ تحت نظر القاريء للقرنين اللذين حكم فيه الجنكيزخانيون بلاد ما وراء النهر يتصور منظرا ملطخا بالدماء يثير الرعب في النفوس ,فهو تاريخ فوضى عاصفة وافراط في الظلم والبغي وقتل وتدمير متوالي"(٩٤).

وهو يتفق مع هوارث في قوله ان المغول مثلوا الفصل المخيف للتاريخ الانساني الذي يتلخص بالتهجير والتدمير للبلاد المتحضرة في خراسان...فقاموا بتدمير الحضارات التي كد في تشييدها غيرهم وحولوها الى صحراء كحال الطاعون والمجاعة(٩٥).

وغالبية المستشرقين الذين جاءوا من بعد فامبري لم يحيدوا عما ذكره سوى بارتولد الذي كانت لهه وجهة نظر خاصة تركز على ايجابيات الغزو على قلتها مقارنة بسلبياته(٩٦).

ثاني عشر. بلاد ما وراء النهر عهد المغول الجغتاي:

بين فامبري انه "بالرغم ان ما بقي لدينا من تاريخ هذه الفظائع قليل ,وذلك لعدم وجود مدونات لتاريخ بلاد ما وراء النهر آنذاك ..ففي عهد جنكيزخان فصلت بخارى وسمرقند وهاتين الدرتين الغاليتين في العالم الاسلامي الغربي عن جيرانها في الجنوب الغربي"(٩٧).

واصبحت بلاد ما وراء النهر تسمى خانية جغتاي نسبة الى ثاني ابناء جنكيزخان الفاتح للمنطقة فاخذ من ابيه بعد وفاته جميع البلاد من ارض الايغور في الشرق الى بخارى وسمرقند في الغرب على ان هذه البلاد تعد مملكة واحدة ,وكانت تخضع خضوعا مباشرا للقاآن الاعظم في منغوليا(٩٨),وشهدت بلاد ما وراء النهر في عقب وفاته فوضى عارمة وحروب مستمرة بين القوى المغولية المتصارعة فيما بينها للسيطرة عليها ,ولعل الرحمة الوحيدة التي كتبت لهذه البلاد هو الحاكم الاداري المسلم لها مسعود بك وهو ابن محمود يلواج فقد روعي في اختياره ما يكفل استعادة الثقة الى نفوس الناس, الا اننا نستطيع ان نقول ان الاحوال ما لبثت ببخارى ان عادت الى سيرها الطبيعي على كل حال(٩٩).

شهدت المنطقة صراعا استمر عقودا بين وقوبلاي (١٢٧١-١٢٩٤م)القآن الاعظم في بكين وابن عمه قايدو(ت١٣٠١م) حفيد اوكتاي في وسط اسيا (غربي منغوليا والصين), وايضا مع مبارك شاه زعيم الجغتاي على عهد قوبيلاي قاآن الذي بعث براق خان بن بيسون توا بن موتوكان بن جغتاي ليحكم الوس جغتاي من دون تعين صريح ليسلب مبارك شاه حكم بلاد ما وراء النهر وهو ما حدث ,ليبتديء الصراع بين براق وقايدو الذي اضطر الى مهادنته لمواجهة القبيلة الذهبية ,وما ان عقد الصلح بينهم حتى تجدد الصراع مع براق الذي خسر ثلث ما وراء النهر لصالح قايدو مما جعله يتجه للتوسع على حساب الدولة الايلخانية عهد آباقا خان بن هولاكو(٦٦٣-٦٨٠هـ/ ١٢٦٥-١٢٨٢م)ورغم مرونة الاخير في التنازل عن بعض المناطق الا ان براق عماه الطمع ليتوغل في خراسان مما عرض نفسه الى كمين انتهى بهزيمته وعودته الى بخارى ليقتل هناك مسموما ,ليعقب ذلك هجوم اباقا على بخارى ليحدث فيها الدمار والتخريب غير ان مسعود بيك سرعان ما اعاد بناءها(١٠٠).

ويختتم فامبري حقبة الحكم المغولي الجغتائي لبلاد ما وراء النهر بالقول" اخذ نجم المغول في الافول من ذلك الوقت ,وذهبت ادراج الرياح كل الجهود التي بذلها ابو سعيد فهؤلاء المغول باعتناقهم الاسلام ورسوم حضارة آسيا الغربية ,انما تخلوا بذلك عن القوة الوحشية التي كانوا قد قدموا عليها من مواطنهم القديمة في الصحراء, فأمدتهم بقدرة لا تبارى ,فاصبحوا من بعد ذلك كالليوث التي سقطت معارفها ولم يعد يهابها احد "(١٠١).

ويقتبس هنا فكرة افول قوة المغول بسبب دخولهم الاسلام وتخليهم عن القوه الوحشيه يحاكي قول ابن خلدون الذي يجعل من البداوة هي القوة التي يكون جانبها مرهوب من الاعداء غير انه يجعل من تأسيس الدولة سببا لبداية الضعف ومن ثم الانهيار وليس تغيير الدين هو من له ذلك الدور التي تحملها المدنية والاستقرار(١٠٢).

وهنا يجانب فامبري الحقيقة فكل الاحداث التي ادت الى نهاية حكم خانية جغتاي هو صراع الامراء المغول للسيطرة على اراضيها سواء في الداخل او الخارج ,وان القاء اللوم على اعتناق خانات المغول للإسلام نجد ان هذا الشيء لا ينطبق في خانية القبيلة الذهبية التي اعتنق خاناتها الاسلام منذ حقبة مبكرة فقد ظلت محافظة على ممتلكاتها بل وسعتها على حساب الروس شمالا وعلى حساب بولندا غربا (١٠٣).

الخلاصة:

ظهر لنا مما سبق عن حياة فامبري انه واجه صعوبات صحية واقتصادية في بداية حياته في المجر وتحصيله العلمي فيها بسبب وفاة والده المبكرة, ورغم كل تلك الظروف استطاع ان يشق طريقا لنفسه مكنته في المستقبل ان يتخصص في مجال دراسي احبه واصبح شغفه الوحيد الا وهو دراسة وتقصي حياة الاتراك في اسيا الوسطى عبر رحلاته العديدة الى هناك.

تمتع فامبري بذاكرة قوية ميزته عن اقرانه كما مهدت له السبيل في حفظ مجموعة من الكلمات من كل لغة كان يشرع في اتقانها مما سهل له اجادة العديد من اللغات الاوربية واللغات الاسيوية في مقدمتها الفارسية والتركية والعربية.

بدأ رحلات فامبري الى اسطنبول وساعده في ذلك اتقانه للتركية التي اكسبته تعاطف الاتراك ,وبعد رحلته الى ايران اتجه الى اسيا الوسطى التي لبس لباس التصوف لكي لا يفصله اي حاجز عن الاختلاط باهلها وفهم وتفحص حياتهم الاجتماعية بكل تفاصيلها.

الف فامبري العديد من المؤلفات التي تنقسم الى ثلاث اقسام الاول يتناول قصة حياته وكفاحه من اجل انجاح مسيرته العلمية وقضاءه الاشهر والسنوات لتحصيل تعليمة واتقان لغات جديدة مستغلا مقدرته الفذة في الحفظ والتذكر ,والثاني لغوي منها قواميس في اللغة ,ودراسة اثنولوجية وفيولوجية (عرقية)عن الاقوام التركية التي شاهدها ,واصولها المختلفة وخصائصها وتوزعها وعلاقاتها ببعضها البعض ويدرس ثقافتها دراسة مقارنة, وقسم ثالث آخر يحمل صفة الجانب الاجتماعي التاريخي يحوي مشاهداته اليومية في اسيا الوسطى , ,كما كان له كتاب في التاريخ وهو(تاريخ بخارى منذ اقدم الازمنة الى وقتنا الحاضر)والذي بين انه اول مؤلف عن تاريخ المدينة وانه تقريبا لا توجد معلومات عنها قبل القرن السابع عشر وان محاولته جاءت لسد هذا الفراغ لشحة المعلومات عن هذه المنطقة رغم ضالة المصادر المتوفرة عن المدينة.

وفي دراستنا لتاريخ بخارى لفامبري بينا الموارد التي اعتمدها فامبري في كتابة مؤلفة وكان قسم منها مخطوطات لم يسبق لاحد ان استخدمها قبله وكذلك مراجع حديثة اوربية

تناولت المنطقة التي يدرسها ,وكان في مقدمة مصادره الاولية كتاب تاريخ بخارى للنرشخي كونه الف كتاب يحمل اسم مدينة بخارى ,وكذلك تاريخ الطبري ,كما اعتمد الجويني ورشيد الدين فضل الله في مادته عن الغزو المغولي وتأسيسه للمملكة الجغتاي في بلاد ما وراء النهر.

اما منهجه في الكتاب فكان منهجا استقرائيا لمادة المصادر التي اعتمدها ومن ثم يقدم راية الخاص في المحاور التي يتناولها ,واقد يسوق فكرة المؤلف بطريقته , ورغم انه وضع عنوانا محددا لكتابه وهو تاريخ بخارى الا اننا نجده يستغرق في الحديث على بقية مدن بلاد ما وراء النهر وذات الشيء بالنسبة للقوى السياسية التي سيطرة على بلاد ما وراء النهر, واحيانا تصدر منه كتابات متعصبة من الفتوحات الاسلامية بجعل الهدف منها الاساسي هو الحصول على الغنائم ,بينما كانت له آراء ايجابية بالحضارة والنتاج الفكري الذي تركة السامانيون في بخارى وسمرقند.

كما وجه انتقادا لاذعا للفظائع التي ارتكبها المغول في بلاد ما وراء النهر وشبهها بالظلم المتوالي والبغي الذي لا حدود له.

وحمل محمد خوارزمشاه مسؤولية ما أصاب الدولة الخوارزمية من خراب رغم ان مجريات الغزو المغولي التي قام بها جنكيزخان وخلفاءه تبين ان مسألة الغزو المغولي للدولة الخوارزمية كانت مسالة وقت ليس الا.

وجعل من دخول المغول الى الاسلام السبب المباشر لضعف المغول واستكانتهم في محاربة المخاطر الخارجية والداخلية والواقع انه لم يكن للإسلام شأن في ذلك بقدر الصراعات المحتدمة بين امراء المغول انفسهم من اجل التوسع والهيمنة على حساب الآخر ابتداءا من الحرب الاهلية بين قويبلاي وأخية واريغ بوقا على زعامة المغول لتشمل كافة ممالكهم الاربع الى نهاية عهودهم فيها.

قائمة الهوامش

(١) نجيب العقيقي ,المستشرقون ط٥(القاهرة, دار المعارف,٢٠٠٦م)ص٣٦-٣٧

(٢)Arminius Vambery, Arminius Vambery His life and Adventures ,Third Edition(Londonm1884)p.2

(3) Jacob M .Landau, Arminius Vambery :Traveller, Scholar ,Politician Middil Eastern Studiesm2014,Vol.50,p.858

(٤) Arminius .Vambery His life,p.3

(٥) Arminius Vambery, Arminius Vambery His life,p.3-7

(٦)Arminius Vambery, Arminius Vambery His life,p.9

(٧) Arminius Vambery, Arminius Vambery His life ,p

(٨)العقيقي ,المستشرقون ,ج٣,ص٣٩,بدوي,موسوعة المستشرقين,ص٤١٤-٤١٥

(٩) Jacob M .Landau, Vambery :Traveller, Scholar,vol,50,p.859-860

(١٠) Jacob M .Landau, Vambery :Traveller, Scholar,vol,50,p.859-860

(١١)Arminius Vambery, Arminius Vambery His life,p.27

(١٢)Jacob M .Landau, Vambery :Traveller, Scholar,vol,50,p. 861

(١٣)Hermann vambery, Turken volk in seinen Ethnologischen und Ethnographischen Beziehungen(Leibzic, 1885)p.1

(١٤)Hermann Vambery,Die primitive culture des Turko –Tatarischen volkes(Leipzig,1879)p.2-4

(١٥)Hermann Vambery ,Die primitive culture des Turko –Tatarischen,p.4-5

(١٦)عبد الرحمن بدوي ,موسوعة المستشرقين,(بيروت,دار العلم للملايين,١٩٩٣م)ص٤١٥

(١٧)العقيقي ,المستشرقون ,ج٣,ص٤٠, بدوي,موسوعة المستشرقين ,ص٤١٥-٤١٦,يحيى مراد معجم اسماء المستشرقين ,ص٧٦٨-٧٦٩ www.kotob arbia.com

(١٨)Sketches of central Asia(pest,1868)p.9 -12

(١٩)p.12) The story of Hungary (London,1886

(٢٠))p.12 Travel in central Asia(London,1863

(٢١)Jacob m. Traveller,V.50,p,863

(٢٢)Jacob,m.Traveller,vol.50,p.863

(٢٣) علاء السيد ,آراء المؤرخين بشخصية السلطان عبد الحميد الثانيwww.doc.org

(٢٤)Hermann Vambery ,Die primitive culture Des Turko –Tatarisschen volkes(Leipzig,1879)p.4-5

(٢٥)Turkenvolk in Ethnologischen und Ethnograpihschen Beziehungen(Leipzig 1885)p.291

(٢٦)Armin Vambery,Vambery Armin Vazlatai Kozep Azsiabol (pest,1868)p.191

(٢٧)Armin Vambery,Vambery Armin Vazlatai Kozep Azsiabol, p. 173-175

(٢٨)central Asia ,p.38-52 Sketches of

(٢٩)ينظر أ.بيتروشيفسكي ,مقدمته على اطروحة بارتولد ,تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي ,ترجمة: صلاح الدين عثمان,ط١(الكويت ,المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب,١٩٨١م)ص٩-١٣

٣٠)Jacob m., Traveller,p.862

(٣١) يحيى الخشاب ,تاريخ بخارى لفامبري,ص٣-٤

(٣٢)ارمنيوس فامبري, تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ,ترجمة وتعليق :احمد محمود الساداتي, مراجعة: يحيى الخشاب (القاهرة ,جامعة القاهرة,١٩٨٧م)ص٨

(٣٣)فامبري, تاريخ بخارى,ص٨

(٣٤)تاريخ بخارى,ص١٧

(٣٥) تاريخ بخارى ,ص٨

(٣٦)تاريخ بخارى,ص١٤.٨

(٣٧)تاريخ بخارى,ص١٢

(٣٨)تاريخ بخارى ,ص١٦

(٣٩) لسترانج, غي ,بلدان الخلافة الشرقية, نقلة الى العربية: بشير فرنسيس وكوركيس عواد(بغداد ,مطبعة الرابطة,١٩٥٤م)ص١٥

(٤٠)ينظر عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ,الدول المستقلة في المشرق الاسلامي منذ مستهل العصر العباسي الى الغزو المغولي(القاهرة ,دار الفكر العربي,١٩٩٩م)ص٧-١٦

(٤١)عطية القوصي ,تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية(القاهرة, مكتبة دار النهضة العربيةو١٩٩٣م)ص٨-٩

.(٤٢)قحطان عبد الستار الحديثي ,ارباع خراسان(جامعة البصرة,مطبعة الجامعة, ١٩٩٠م)ص٢٠

(٤٣)تاريخ بخارى,ص٢١-٢٢

(٤٤)تاريخ بخارى,ص٧٣

(٤٥)تاريخ بخارى,ص٢٤.٢٥

(٤٦) تاريخ بخارى ,ص٥٧

(٤٧)البلاذري ,ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)فتوح البلدان ,وضع حواشيه :عبد القادر محمد علي(بيروت, دار الكتب العلمية,٢٠٠٠م)ص٢٤٥

(٤٨) تاريخ بخارى,ص٥٧

(٤٩)تاريخ بخارى,ص٥٨

(٥٠) تاريخ بخارى,ص٥٨-٥٩

(٥١) تاريخ بخارى,٦١

(٥٢)تاريخ بخارى,٦٢-٦٣

(٥٣)النرشخي ابو بكر محمد بن جعفر(٣٤٨هـ/٩٥٩م) تاريخ بخارى ,عربه عن الفارسية: امين عبد المجيد بدوي, نصر الله مبشر الطرازي,ط٣(القاهرة ,دار المعارف,١٩٦٥م)ص٧٤, ص٢١

(٥٤)البلاذري ,فتوح البلدان,ص٢٥١

(٥٥) تاريخ بخارى,ص٧١

(٥٦)انتصار نصيف شاكر ,المظاهر الحضارية لمدينة بخارى خلال العصور الاسلامية, مجلة الدراسات التاريخية والثقافية ,العدد ٤٠,ص٢١٠

(٥٧) تاريخ بخارى,ص٩١

(٥٨)تاريخ بخارى ,ص٩١-٩٤

(٥٩)تاريخ بخارى,ص١٠٥

(٦٠)الفقي,الدول المستقلة في المشرق الاسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي,ص٣٠-٣٤

(٦١)تاريخ بخارى,ص١٠٥-١٠٧

(٦٢)تاريخ بخارى,ص١٢٤-١٢٤

(٦٣)محمد بن محمد بن حامد الاصفهاني (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م)تاريخ دولة ال سلجوق ,اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري الاصفهاني, (بيروت ,دار الافاق الجديدة,١٩٧٨م)ص٧-٩,محمد سهيل طقوش ,تاريخ السلاجقة في خراسان وايران والعراق,ط٢(بيروت,دار النفائس,٢٠١٦م)ص٣٩-٤٥

(٦٤)الفقي, تاريخ الدول المستقلة,١٣٨-١٤٣

(٦٥)تاريخ بخارى,ص١٣١.١٣٥

(٦٦)تاريخ بخارى,ص١٣٤-١٣٦

(٦٧)تاريخ بخارى,ص١٤٠-١٤١

(٦٨)تاريخ بخارى,ص١٤٤-١٣٥

(٦٩)تاريخ بخارى,ص١٤٧-١٥٨

(٧٠)تاريخ بخارى ,ص ١٥١

(٧١)ينظر تاريخ بخارى,ص١٥٥, ابن الاثير, الكامل في التاريخ,ج١٠,ص٣٣٣,-٣٤٠, بارتولد,تركستان,ص٥١٣-٥٢٨

(٧٢)النسوي, محمد بن احمد (٦٤٧هـ/١٢٤٩م)سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي(القاهرة, دار الفكر العربي,١٩٥٣م)ص٥٣-٥٤

(٧٣)تاريخ بخارى ,ص١٥٨

(٧٤)النسوي ,سيرة جلال الدين منكبرتي,ص٨٣-٨٤

(٧٥)تاريخ فاتح العالم,ج١,ص٩٩

(٧٦)تاريخ بخارى,ص١٥٨-١٥٩

(٧٧)تركستان من الفتح العربي,ص٥٦٩-٥٧٢

(٧٨)Dhossone ,Histore des Mongols (Amistrdam ,1834) v.1,p.211., Henry Howorth (History of the mongol ,the tartar dominion(cambridg ,1964)v.1,p.74

(٧٩)ابو الفدا, المختصر في اخبار البشر,ج٣,ص٢١٩؛هلال ,العلاقات بين المغول واوربا ,ص ٧٤.

(٨٠)طقوش ,تاريخ المغول العظام ,ص ١٢١.

(٨١)جوانفيل ,حياة القديس لويس ,ص ٢١٩

(٨٢)طقوش ,تاريخ المغول العظام ,ص ١٢١.

(٨٣)هلال ,عادل اسماعيل محمد ,العلاقات بين المغول واوربا واثرها على العالم الاسلامي,ط١ (الهرم, عين للدراسات الانسانية والاجتماعية,١٩٩٧م)ص٩٩

(٨٤)فنست البوفي ,مرأة التاريخ المغول ,ترجمة من اللاتينية الى الانجليزية ستيفن باو ,ترجمه الى العربية: امجد حسن مجيد,ط١(بابل ,مؤسسة ابجد للترجمة والنشر والتوزيع,٢٠٢٥م)ص٢٣

(٨٥)تاريخ بخارى,ص١٦٢

(٨٦)تاريخ بخارى ص١٦٢-١٦٣

(٨٧)Dhossone ,Histore des Mongols) v.1,p.211-249, Henry Howorth ,History of the mongol ,the tartar dominionv.1 ,p.74-90,

(٨٨)ينظر تاريخ بخارى ,ص١٦٤-١٦٩,للتفصيل عطا ملك الجويني, تاريخ فاتح العالم, نقله عن الفارسية :محمد التونجي ,ط١(حلب ,دار الملاح للطباعة,١٩٨٥)ص١١٠-١٤٣

(٨٩)تاريخ بخارى,ص١٧٠

(٩٠)تاريخ بخارى,ص١٧١-١٧٢,ينظر الكامل في التاريخ ,راجعه وصححه :محمد يوسف الدقاق ,ط ٤(بيروت, دار الكتب العلمية,٢٠٠٣م)مج١٠,ص٤٠٦,تاريخ فاتح العالم,ج١,ص١١٨

(٩١) تاريخ بخارى,ص١٧٣-١٧٦

(٩٢)تاريخ بخارى ,ص١٧٨

(٩٣)تاريخ بخارى,ص١٧٩

(٩٤)تاريخ بخارى,ص١٨٢-١٨٣

(٩٥)Howorth ,History of the mongol,v.1,p.102

(٩٦)تركستان,٧٥١

(٩٧)تاريخ بخارى,ص١٨٣

(٩٨)جغتاي خان ,دائرة المعارف الاسلامية, نقلها الى العربية :محمد ثابت الفندي وآخرون,(القاهرة ,دار الشعب,١٩٣٣م)ج٧,ص٣-١١

(٩٩)تاريخ بخارى,ص١٨٥

(١٠٠)ينظر تاريخ بخارى ,ص١٨٥-١٩٨,رشيد الدين فضل الله ,جامع التواريخ ,تاريخ خلفاء جنكيزخان من اوكتاي الى تيمور قاآن, نقلة الى العربية فؤاد عبد المعطي الصياد ,راجعه وقدم له: يحيى الخشاب ط١(بيروت,دار النهضة للطباعة والنشر,١٩٨٣م)ص٢٢

(١٠١)تاريخ بخارى,ص١٩٩

(١٠٢)ينظر ابن خلدون, عبد الرحمن(ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)المقدمة, تحقيق وتقديم: علي عبد الواحد وافي,ط٢(القاهرة, لجنة البيان العربي,١٩٦٥م)ج١,ص٣١٥-٣١٨

(١٠٣)ينظر هلول, ممدوح محمد مغازي ,السياسة الداخلية لمغول القبيلة الذهبية في روسيا, مجلة حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية,٢٠١٨م, كلية الآداب ,جامعة القاهرة,ص١٢, طقوش, محمد سهيل, تاريخ مغول القبيلة الذهبية والهند,ط١(بيروت, دار النفائس,٢٠٠٧م)ص١٣, بارتولد, تاريخ الترك في اسيا الوسطى, ترجمة: احمد سعيد سليمان,ط١(القاهرة ,الهيئة المصرية العامة للكتاب,١٩٩٦م)ص١٩٨.